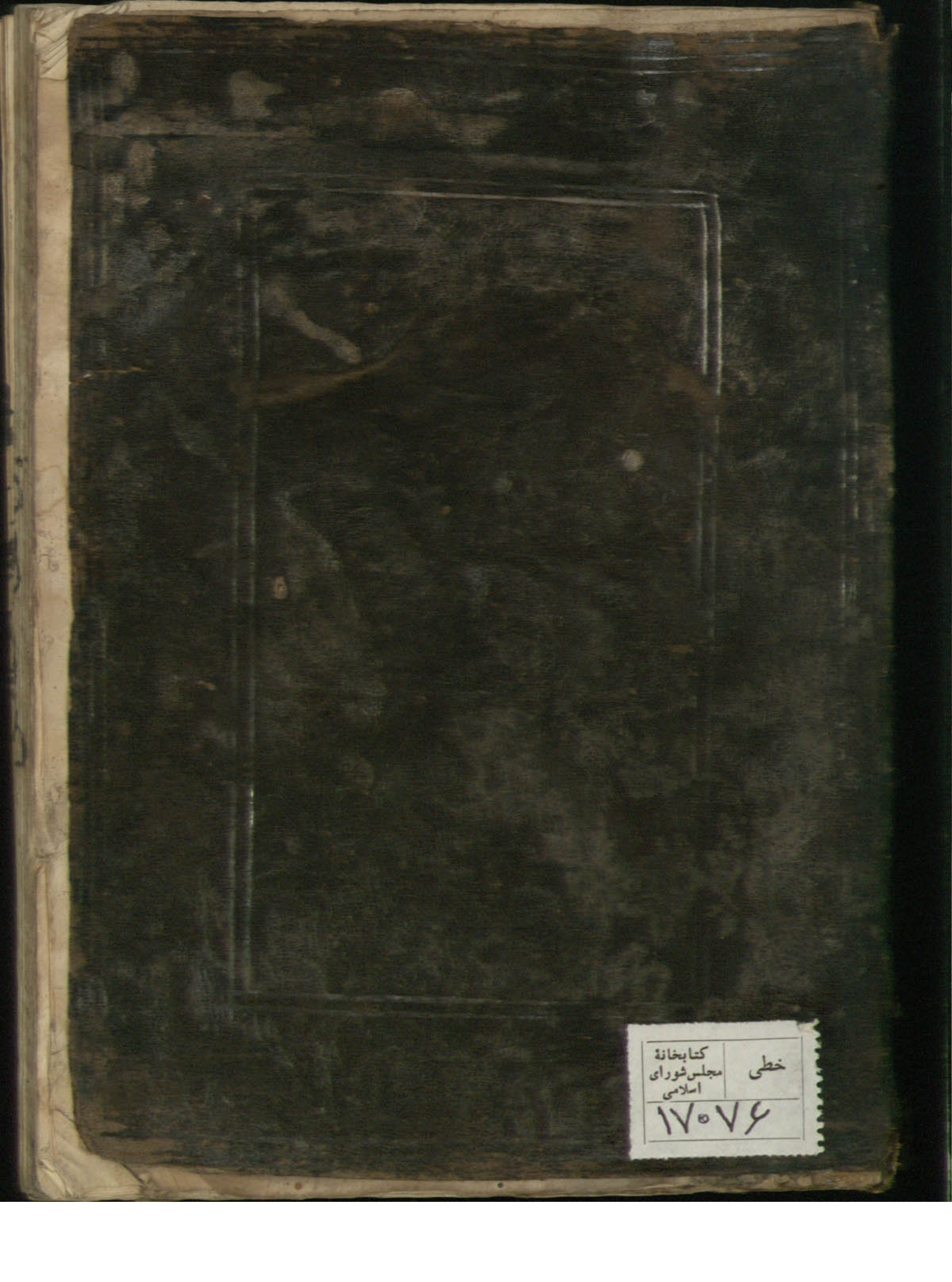
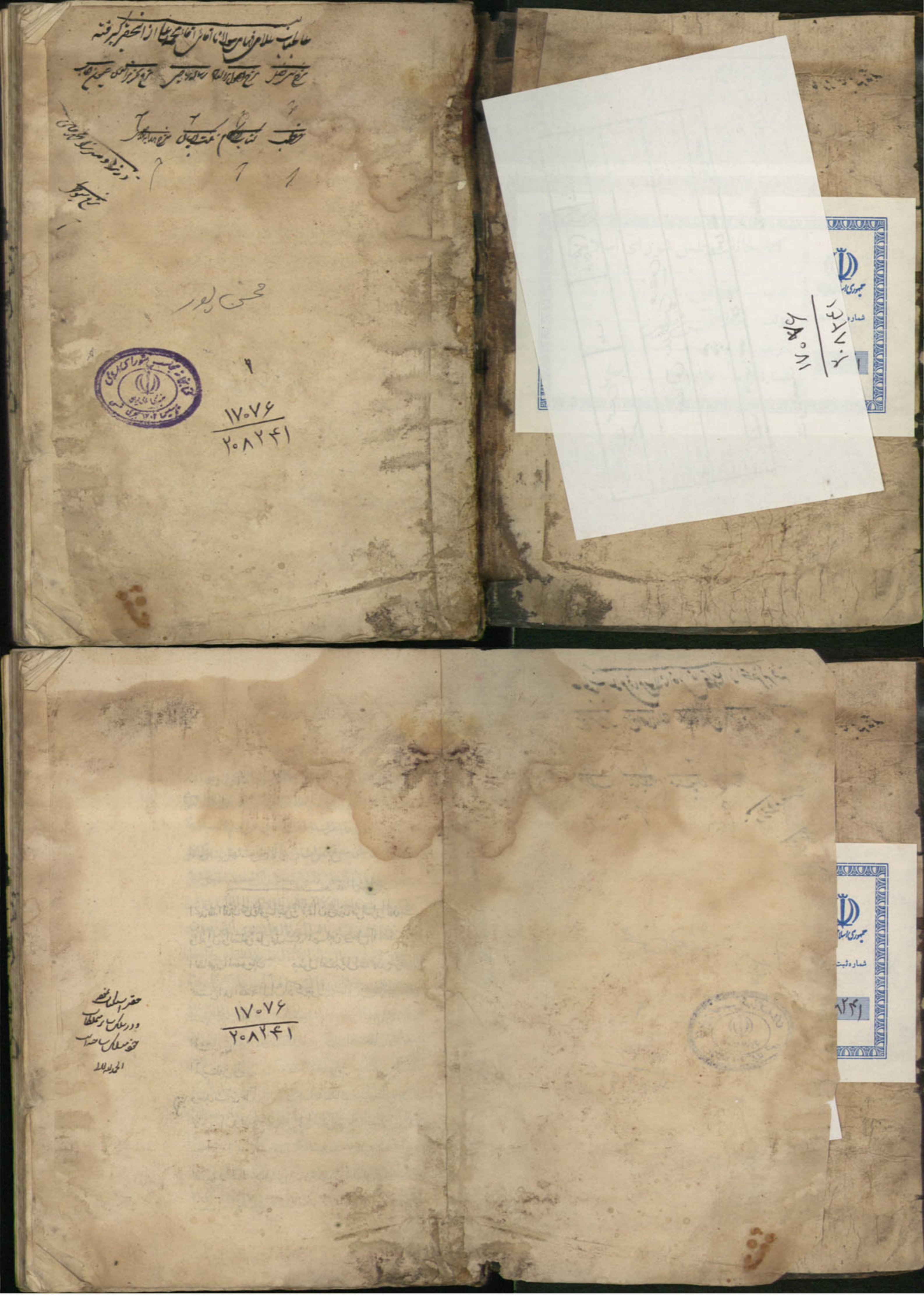

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
خطی
۱۷۰۷۶


کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
کتاب حقایق
مؤلف ملا محسن فیض
مترجم
شمارهٔ قفسه ۱۷۰۷۶
شمارهٔ ثبت کتاب
۲۰۸۲۴۱


١٧٠٧٦
٢٠٨٢٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوبنا بنور الايمان وعرّفنا من اسرار الحديث والقران والصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين فيقول الفقير الى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ابقاه الله تعالى اني اذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما يعنى به من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد الى معارج اليقين وانما اخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين واحاديث الائمة المعصومين واضفت اليه ما وجدت من علماء الدين لا سيما كتاب احياء علوم الدين لابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لان يكون بيانا لمبانيه وتفسيرا لمعانيه بتغيير ما فيه ومزيد متقن موثرا للفرائد مجتنبا سبيل الزوائد وسميته بالحقائق ورتبته على ست مقالات في كل مقالة ابواب وفي كل باب فصول

ومن الله التأييد المقالة الاولى فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب الباب الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وافضل ما يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وفي الحديث النبوي العلماء ورثة الانبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله وقد امرتم بطلبه فاطلبوه وعن السجاد عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وعن الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن الصادق عليه السلام من علم

خيرا فله مثل اجر من عمل به وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله تعالى لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الآخرة والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه والاخبار في فضيلة العلم وشرفه اكثر من ان يحصى اعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى

الى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته هو افضل مما يطلب لغيره وما يطلب لذاته ولغيره اشرف مما يطلب لذاته فحسب والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة فيهما ولولا ان الله عز وجل يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة والذي يطلب لذاته كاللذات والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة وذريعة الى القرب من الله فانه لا يتوصل اليهما الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية والقرب من الله وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليهما ولا يتوصل اليهما الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن افضل الاشياء وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الآخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون

طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان
بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم باختلاف
مراتبها فيتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها الى ان ينتهي الى معرفة الله
بحقيقة اليقين التي هي اصل كل معرفة واشرفه قال الصادق عليه السلام
لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء
من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤنه
بارجلهم ولتنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات
الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله انس من كل وحشة وصاحب من كل
وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم
ثم قال قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير
ويضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه
من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم الا ان
يؤمنوا بالله العزيز الحميد فسلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب
دهركم تدركوا سعيكم ؛ العلم علمان علم الدنيا وعلم الاخرة وعلم
الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وعلم الاخرة علمان
علم يقصد لذاته وعلم يقصد للعمل ليتوصل به الى العلم المقصود لذاته

فان اريد به الدنيا الحق بعلم الدنيا وعلم الاخرة محمود كله واما علم
الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم اما العلم المقصود لذاته فهو نور
يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف
من ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسمائها ويتوهم لها معاني مجملة
غير متضحة فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى
وبصفاته التامات بقدر الامكان وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا
والاخرة ووجه ترتيبه الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي
وبمعنى الامامة والامام ومعرفة معنى الوحي والالهام ومعنى الملائكة
والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور
الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي الى النبي وحديث الملك
مع الامام والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب و
كيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين
لمة الملك ولمة الشياطين ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر
والصراط والميزان والشفاعة والحساب ومعنى قوله عز وجل وكفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه
والمقام في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى

وطارية الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى
بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول
تفصيله فان للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات
فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباده الصالحين
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من
الجنة الا الصفات والاسماء الحسنى وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وفي
بعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى
معرفة الله سبحانه الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة
في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد
جميع العوام وهو انه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بالعلم المقصود
لذاته ان يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى
العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب
قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا فلا بد من تصقيل هذه المراة
عن هذه الخباثات التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وافعاله وانما
تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء والائمة عليهم السلام
في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه
ولا سبيل الى ذلك الا بالتعلم والهدى والخشية والتورع والعظة والكا

بجمع العلم

وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه
منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار
وهذا العلم الخفي هو الذي اراده النبي بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا
به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يحمله الا اهل الاعتراف
بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ اتاه اياه
وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان من احب عباد الله اليه عبدا
اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه
الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد
به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب
الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف
مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها
فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفي كلام آخر له عليه السلام قد احيى قلبه وامات
نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق
وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت
رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى
ربه وقال عليه السلام اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية

في الطرق البعيدة وقال عم تعلمت من رسول الله صلعم الف باب
من العلم ففتح لي من كل باب الف باب وسئله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة
فقال عم ما لك والحقيقة قال اولست صاحب سرك قال بلى ولكن
يرشح عليك ما يطفح مني ثم اجابه عم بما سئل وروى كميل انه عم اخذ بيدي
فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان هذه القلوب
اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة فعالم رباني
ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق الى ان قال ها ان ههنا
لعلما جما واشار الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مأمون
عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه
على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في
قلبه لاول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس
القياد للشهوة او مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء
اقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا
لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون
عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها

نظرائهم

نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة
وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما
استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه آه آه
شوقا الى رؤيتهم عن الصادق عم انه قال والله لو علم ابو ذر ما في
قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما
فما ظنكم بسائر الخلق ان علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك
مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال وانما صار
سلمان من العلماء لانه امرؤ منا اهل البيت فلذلك نسبه الى العلماء
اراد عم اهل بيت التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسب
والصبيان والاهل والاولاد وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله ايضا
سلمان منا اهل البيت وفيه ايضا لو علم ابو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة
لكفره وفي رواية لقتله وعن السجاد عم ابيات منسوبة اليه اني لاكتم
من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا ابو حسن
الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي
انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه
حسنا وعن الباقر عم الناس كلهم بهائم الا قليل من المؤمنين

اهل وتصديق ذلك قول الله عز وجل ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعن الصادق عم ان امرنا سر مستور
في سر مقنع بالميثاق من هتكه اذله الله وقال عم ان امرنا سر مستور
في سر وسر مستتر وسر لا يفيده الا سر وسر على سر مقنع بسر وقال عم
هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر
وسر المستسر وسر مقنع بالسر وقال عم مشيرا الى وجوب كتمان هذا السر
التقية ديني ودين آبائي من لا تقية له لا دين له وقال عم خالطوا الناس
بما يعرفون ودعوهم مما ينكرون ولا تحملوا على انفسكم وعلينا ان امرنا
صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن
امتحن الله قلبه للايمان   واما العلم المقصود للعمل المتوسل به الى
العلم المقصود لذاته فقسمان احدهما علم الاخلاق والثاني علم الشرائع
اما علم الاخلاق فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر
والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزهد والتقوى والقناعة
والسخاء والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة واداء
الامانة والصدق والاخلاص ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال
فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب
وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى من علم الآخرة

والعلم

واما ما يذم فنحو خوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد
والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع
والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل
والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر
والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني
وحب كثرة الكلام والصلف والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب
النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة
الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية
على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة
والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا
والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والاعانة منهم
على الدين والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها
من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها
وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه
الامور وحقايقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض
عين على من له اهلية ذلك والا فبقدر وسعه لا يكلف الله نفسا
الا وسعها واما علم الشرائع فهو العلم بكيفية العبادات المشروعة من الفقه

والصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واسرارها والعلم بالاحكام المحدودة من الحلال والحرام في المكاسب والمعاملات
من البيع والشراء والربوا والقرض والقراض والاجارة والشركة والمزارعة
والمساقاة والرهان والضمان والكفالة والوكالة والوديعة والاقرار والصلح
والعطايا والبر والنكاح والفراق وقسمة المواريث والعلم بالحدود والتعزيرات
والقصاص والديات وتجهيز الاموات والعلم بآداب الاكل والشرب واللباس
والمسكن والتحية والضيافة والطيب والكلام والمواخاة والمعاشرة والنفقة
والحقوق الى غير ذلك وهو ايضا فرض عين بقدر الاحتياج والكفاية وفرض كفاية
للعلماء والفضلاء واما الطريق الى تحصيل هذين العلمين اعني علم الاخلاق وعلم
الشرايع فهو ما نتلو عليك فاستمع واتبع سبيل الذين هم مهتدون ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون   اعلم ان كلا من العلوم الثلثة الاخروية يسمى
بعلم الدين وعلم الفقه وتحصيله يسمى بالتفقه في الدين قال الله عز وجل فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون وقال الصادق ع لاصحابه عليكم بالتفقه في دين الله
ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيمة ولم يزك
له عملا وقال ع ليت السياط على رؤس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال
والحرام وقال ع ان آية الكذاب ان يخبرك بخبر السماء والارض والمشرق والمغرب

فاذا سئلته

فاذا سئلته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء الى غير ذلك ثم ان
هذا المعنى اى التفقه في الدين عبارة عن تحصيل البصيرة في المسائل الدينية
علمية كانت او عملية باطنية او ظاهرية متعلقة بالعبادات او المعاملات فرضا
معرفتها او العمل بها او سنة او ادبا او غرضا الآن بيان كيفية هذا التحصيل
فان الناس اختلفوا فيه حتى اوقعوا الجماهير في التيه ونحن بتأييد الله عز وجل
نكشف عن وجه الحق فيه النقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب فنقول
ان الناس كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذون العلم عنه بما
يوحى اليه واما بعده فصاروا فرقتين فرقة مالوا الى الاجماع والتوقيف بتعيين
الامام واتباع المتشابهات في العقايد والاحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة
وابتغاء التأويل واختيار المدلول مع اختلاف الدليل وهم اصحاب ابي بكر بن
ابي قحافة التيمي وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحذوا حذوهم من الذين قالوا
بالاجتهاد والرأي في كل شيء فتبدل آراؤهم ويختلف علماؤهم ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس وان هم الا يخرصون وهؤلاء صنفان مجتهد
ومقلد اما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج
اليه الناس من العلوم الدينية اصولية كانت او فرعية من القوانين التي وضعوها
والقواعد التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات
واما مقلدهم فكيفية التفقه عنده ان يأخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة

او دونها نظرا وزيغا الى ما المقتبس من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع
المحكمات في العقايد والاحكام ووقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل واتقاء عما كاد
يفضي الى الضلال والتضليل وهم اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع الذين لا
يقولون الا على النصوص المخصوص في كل شيء مسلمين لامامهم الاخذ علمه من الله
ومن رسوله في كل ما انتهاه اليهم في شيء شيء مطيعين لما امرهم الله تعالى حيث
قال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وحيث قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وانما نشأ من اجتهاد بعض متأخري اصحابنا
وتقليدهم الاصول وخوضهم في الفضول ايضا ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم
كابتناء وجهه في شعور انتماع احتمال ان يكون سبب حدوثه فيهم او لا صحة
ذووها ومماشاة مع مخالفيهم راعوها لئلا يزعموا ان دقائق العلم ليست ضيائهم ثم
صار ذلك شبهة لمن تأخر عنهم جرت فيهم ثم سرت في من دونهم وعلى التقديرين
فليس ذلك لفساد في مشربهم العذب ولا سببا لالحاقهم بالفرقة الاولى حاشاهم
عن ذلك فان لهم حقوقا جمة على الفرقة الناجية الجليلة بترويجهم المذهب
الحق بمساعيهم الجميلة ودفعهم جل التقية عن كثير من العباد والبلاد فجزاهم الله
عنا خير الجزاء وحشرهم مع ائمتهم يوم التناد وهؤلاء الفرقة الناجية يرجعون
الى امامهم في التفقه حيث يتيسر لهم ذلك والا فهم ايضا صنفان بصير ومستبصر
وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وان شئت

قلت منها المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ اما بصيرهم وهو الذي له فهم
وذكاء وقوة قدسية وزهد في الدنيا وورع في الدين فكيفية التفقه
عنده ان يتبع محكمات الكتاب والسنة ومحكمات احاديث اهل البيت عليهم السلم
مما صح عنهم فيستنبط منها ما يجب اعتقاده وما يجب ان يعمل به ويشيده بنور
عقله القويم وفهمه المستقيم ويزكيه بواردات ترد على ذهنه المصفى
باعماله الصالحة المرضية وقلبه المنور بنور اخلاقه المهذبة الزكية
فان نور العقل لا يهتدي ولولاه لما عرف الشرع وكانه شرع من داخل كما ان الشرع
عقل من خارج وهما متعاضدان ويتظاهران الى ان يصيرا كانهما متحدان
وفي الحديث ما ادى العبد فرايض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين
في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم اولوا الالباب ولا اظنك ان تحسب
المؤمنين انما امنوا بالله واليوم الاخر بمجادلات المتكلمين وادلة المجادلين
هيهات هيهات وانما عرفوا الله بمثل ما قلناه من تعاضد العقل والشرع واجتماع
النور الداخل مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشمس في الرؤية والى
مثل هذا العقل اشير بقوله عز وجل يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور
على نور يعني نور العقل والشرع وفي الحديث ليس العلم بكثرة التعلم انما هو نور
يقذفه الله في قلب من يريد الله ان يهديه فهذا البصير ان تبين له الحكم بحيث لا
شبهة فيه ولا ريب يعتريه اخذ به وشكر الله وان اشتبه عليه الامر وكل علمه الى الله

ومعنى الاجماع عنده ليس الا اتفاق علماء الاصحاب على العمل بالنص المخصوص
وبحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند
الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص متوقف له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر
بين طائفة من اهل الخلاف والنزاع واليه اشير في الكلام الصادق في خبر تعارض
الاخبار خذ بالمجمع عليه بين اصحابك فان المجمع عليه لا ريب فيه واما عوام هذا الزمان
فكيف يمكنهم ان يحققوا مسائلهم من خواصهم ولو بواسطة او وسائط الا
ان اليوم اشتبه عليهم الامر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص
وادخالهم انفسهم في جملتهم فصار العوام حائرين بائرين لا يهتدون الى الشرع
ولا يدرون الى من يرجعون فالمرجو لهم ان يرجعوا في ذلك الى قوم مشتهرين عارفين باهل
البصيرة ليعرفوهم اياهم فان لم يتيسر فليستفتوا العالم من غلب على ظنه انه منهم وانه
ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسأله هل هذا الحكم في كتاب الله او سنة
رسول الله او حديث احد من المعصومين عليهم السلام فان قال نعم فليعمل به وان قال انه
ليس في شيء منها بخصوصه منها بالاستنباط وهو مما اجمعوا عليه من غير نص
بالمعنى حينئذ او نحو ذلك سأل غيره حتى يصادف من اجابه من القرآن والحديث بحكم
مخصوص ونص او اشار له الى الاحتياط او التخيير فان فعل ذلك العامي في
المتفقه في تلك الامثلة للمسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدمائنا
الاماميين وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام

وانما يستفاد

والى ائمته المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ولا يفتي في مسئلة بالحتم
والبت قال الصادق عليه السلام اما انه شر عليكم ان تقولوا بشيء ما لم
تسمعوه منا وقال عليه السلام كل علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل واشار بيده الى
بيته فلا يخرج من المشكاة نفسه قاعدة كلية غير منصوصة ولا مسموعة ليقع الاختلاف
فيه كقاعدة حجية خبر الواحد او عدم حجيته على الاطلاق التي لم يجر بحمل السائل
فيه قط ولن يجر الى غير ذلك من القواعد المسماة عند اهلها باصول الفقه
بل يطلب في كل مسئلة اهمته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ودراية تامة
تطمئن النفس اليها ولا يحكم بالمتشابه لانه الحكم فيه وكيف وكيف يجوز ان يجعل
المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها فلا ينبغي تأويله ولا رده الى احد الطريقين
كما فعله الذي في قلبه زيغ وذلك لان الله سبحانه جعل الامور ثلثة كما ورد
في الحديث النبوي بين رشده فيتبع وبين غيه فيجتنب ومتشابهات بين
ذلك يرد حكمها الى الله والى الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله فكيف يطلب
الفتيى بما حكم الله فيها بالتثبت مع ان في المتشابهة حكما ومصالح يمتحن الله
بها اصناف عباده ولا يجمع ايضا بين الاخبار المتعارضة الا بما اشار اليه
المروي عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي ينتهي الى التخيير وبذلك يتجافى
البصير من الخلاف والاختلاف والقول بالرأي والجزاف فلا اجتهاد عنده
ولا رأي ولا اجماع بل ليس معوله الا على الرواية والدراية والسماع

ومن ادعى

ولتسمى الشيعة والامامية والاثنى عشرية الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق
المسلوك من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية
على وجهه وان لم يشعر بذلك ثم لا نظن ان العلم بصدق نسبة مضمون اخبار المعصومين
عليهم السلام اليهم لا بد ان يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والامارة والقوة او تواترها كتواتره
ولا مخبرها كاخبارهم لا نقصا لانا كالكتب ولو ثبت ذلك لقال الذين يشكون بامامتهم
لان قوة علمك بامامتهم ليس كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره فظهر بطلان ذلك
لم نعرف بعد ان اليقين كالظن يتفاوت في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد
قوة العقل والشرع واعتضاد كل منهما بالآخر وان في الاحكام الشرعية يكتفى باقل
مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا
وسندا فكل ما اطمأنت اليه النفس من الاخبار نعمل به وكل ما لم تسكن اليه نذره في
سنبله وروى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث
يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا
من كتاب الله او من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والا فالذي جاءكم به اولى به
وفيه باسناده عنه عليه السلام قال كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله
فهو زخرف وفي عيون الاخبار عن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال في آخره بعد ذكر
العرض على الكتاب ثم السنة ثم التخيير والرد الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا

فيه بآرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون حتى يأتيكم
البيان من عندنا ونحو ورد في الحث على العمل باخبارهم عليهم السلام اخبار لعلها
تبلغ التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما يدل على
جواز العمل بها وان لم يصدر عنهم عليهم السلام في الواقع وهو قول الصادق عليه السلام
من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك
لانه تسليم وطاعة وانقياد لا رأي فيه ولا اجتهاد وقال الصادق عليه السلام احتفظوا بكتبكم فانكم
سوف تحتاجون اليها وقال للمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في اخوانك فان مت فاورث
كتبك بنيك فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم وقال صاحب
زماننا صلوات الله عليه واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم
حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم وبالجملة فما اذنوا في الاخذ بالاخبار والكتب الا التسليم
والانقياد ولم ياذنوا في الاخذ بالآراء والاجتهاد بل نهوا عنه فليس لنا الا الاتباع والانقياد
على السماع من دون ابتغاء الدليل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد اضعاف حمد الحامدين ان جعل لنا اماما بعد
امام ظاهرا فينا وان كان مستورا على اعدائنا الى ان انقضى من الهجرة النبوية
مائتان وستون سنة ثم جعل للآخر بعد غيبته سفراء الى قريب من تمام ثلثمائة و
ثلثين سنة وكان اصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية
ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمئنان من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقولهم المشتهر

وحيّرتهم وشتّتهم فاعصمهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجاهم من حيرة الحيران
وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون الى الاصول الماخوذة عنهم المشتملة على اكثر ما
يحتاج اليه الناس حتى شذّ مسئلة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئيا او كلي عنهم عليهم السلم
وفي قوله من وعن قال امير المؤمنين ع يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا اياكم واصحاب الرأي
فانهم اعداء السنن تفلّتت منهم الاحاديث ان يحفظوها واعيتهم السنة ان يعوها فاتخذوا
عباد الله خولا وماله دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق اشباه الكلاب ونازعوا
الحق واهله فتمثلوا بالائمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون
فانفوا ان يعترفوا بانهم لا يعلمون فعارضوا الدين بآرائهم وضلوا فاضلوا اما لو كان الدين
بالقياس لكان باطن الرجلين اولى بالمسح من ظاهرهما وعن الباقر ع من افتى الناس برأيه
فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل وحرم فيما لا يعلم
وعن الصادق ع انه قيل له ترد علينا اشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها
قال لا اما انك ان اصبت لم تؤجروا وان اخطأت كذبت على الله وقال امير المؤمنين ع
عن ذم اختلاف العلماء ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد
تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم
الذي استقضاهم فيصوّب آراءهم جميعا والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد
افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله سبحانه دينا
ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى

ام انزل الله

ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول ص عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول
ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه
بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه
ولا تكشف الظلمات الا به وعنه ع اعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام
ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم
شيئا مما حرم الله عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله   واما علم
الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة
عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع
وتمجها الاسماع واكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء من ذلك مألوفا
في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن اليوم صار مما لا بد منه
حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك لحدوث البدع
كما حدث حاجة الانسان الى استيجار البذرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب
وقطعهم الطريق ولو تركت العرب عداوتهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق
الحج والمتكلم ان تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب
واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا اذ ليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة

التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة أعمال الظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن
العامي بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله سبحانه وصفاته وأفعاله
وجميع ما أشرنا إليه من العلوم الدينية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام
حجابا ومانعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة
للهداية حيث قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال أمير المؤمنين
من طلب الدين بالجدل تزندق وروي أن رجلا قال للحسين بن علي عليهما السلام اجلس حتى
نتناظر في الدين قال يا هذا أنا بصير بديني مكشوف علي هداي فإن كنت جاهلا بدينك
فاذهب فاطلبه ما لي وللمماراة وعن الباقر عليه السلام الخصومة تمحق الدين وتحبط
العمل وتورث الشك وعن الصادق عليه السلام لا يخاصم إلا شاك أو من لا ورع له وعن الكاظم
أنه قال لعلي بن يقطين مر أصحابك أن يكفوا ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين
ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل وعن الرضا أنه سئل في مكاتبة أنهم نهوا
عن الكلام في الدين فتأول مواليك المتكلمون بأنه إنما نهى من لا يحسن أن
يتكلم فأما من يحسن أن يتكلم فلم ينهه فهل ذلك كما تأولوا أو لا فكتب المحسن
وغير المحسن لا يتكلم فيه فإن إثمه أكبر من نفعه إنما منعوا من الجدال والمناظرة
لأن لهما آدابا وشروطا لا بد من مراعاتها وآفات يجب التجنب عنها وقل من
يهتدي إليها ويوفق لما يجب وإلا فالجدال بالتي هي أحسن مأمور به قال أبو محمد
الحسن العسكري ع ذكر عند الصادق ع الجدال في الدين وأن رسول الله صلى الله عليه

والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه فقال الصادق ع لم ينه عنه مطلقا
ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله يقول ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن وقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي أحسن فالجدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرمه الله
على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة وهو يقول وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
أو نصارى قال الله تعالى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين فجعل علم الصدق
والإيمان بالبرهان وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال بالتي هي أحسن قيل يا ابن رسول الله
فما الجدال بالتي هي أحسن والتي ليست بأحسن قال أما الجدال بغير التي هي أحسن فأن
تجادل مبطلا فيورد عليك باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله أو تجحد حقا يريد
ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لأنك
لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء
إخوانهم وعلى المبطلين أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى
مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله وأما الضعفاء منكم فتغتم قلوبهم لما يرون
من ضعف المحق في يد المبطل وأما الجدال بالتي هي أحسن وهو ما أمر الله به نبيه أن
يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له فقال الله له حاكيا عنه وضرب لنا
مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فقال الله في الرد عليه قل يا محمد
يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر

قرا الى اخر السورة فاراد الله من نبيه ان يجادل المبطل الذي قال كيف يجوز ان
يبعث هذه العظام وهي رميم فقال الله قل يحييها الذي انشأها اول مرة افيعجز من
ابتداه لا من شيء ان يعيده بعد ان يبلى بل ابتداؤه اصعب عندكم من اعادته ثم
قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا اذا انتم منه توقدون اي اذا كمن النار
الحارة في الشجر الاخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم انه على اعادة ما بلي اقدر
ثم قال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى
وهو الخلاق العليم اي اذا كان خلق السموات والارض اعظم وابعد في اوهامكم
وقدركم ان تقدروا عليه من اعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا
الاعجب عندكم والاصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو اسهل عندكم من اعادة
البالي قال الصادق فهذا الجدال بالتي هي احسن لان فيها قطع عذر الكافرين
وازالة شبههم واما الجدال بغير التي هي احسن بان تجحد حقا لا يمكنك ان تفرق
ان تفرق بينه وبين باطل من تجادله وانما تدفعه عن باطله بان تجحد الحق فهذا هو
المحرم لانك مثله جحد هو حقا وجحدت انت حقا اخر   وللعلم النافع صفات
وعلامات واداب فعن الصادق في قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
قال يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعنه
اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا
لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم وعن الرضا

قال ان من علامات الفقه

انه قال من علامات الفقه الحلم والصمت وعن الصادق قال قال امير المؤمنين
الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من
عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القران رغبة عنه الى غيره
الا لا خير في علم ليس فيه تفهم الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر الا لا خير في
عبادة لا فقه فيها الا لا خير في نسك لا ورع فيه يعني ان الفقيه حقيقة ليس
الا من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعا عارفا بالمقصود من الاوامر
والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى بعض وانما عرف الفقيه بهذه العلامات
السلبية لان اكثر من يسمى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا
باضدادها فكانه عرض بالعلماء والفقهاء [illegible] وقد ابطل بكل علامة مذهبا
من المذاهب الباطلة او اكثر في الاصول والفروع فبالاولى ابطل مذهب المعتزلة
القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ومذهب الخوارج
المضيقين في التكاليف الترهيبية وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم
من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد وبالثالثة مذهب الحنابلة [illegible]
ومن يشبههم كاكثر المتصوفة وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا عن
القران واهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة
ومذهب الحنفية الذين عملوا بالقياس وتركوا القران والحديث والعلم الذي
ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الاقوال والروايات

فانها ليست بعلم في الحقيقة وعن الباقر انه سئل عن مسئلة فاجاب فيها فقال الرجل
ان الفقهاء لا يقولون هذا فقال يا ويحك وهل رايت فقيها قط ان الفقيه حق الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة المتمسك بسنة النبي صلى الله عليه وآله
وعن الصادق قال طلبة العلم ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه
للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه و
العقل وصاحب الجهل والمراء موذي ممار متعرض للمقال في اندية
الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله
من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب
وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم
هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره وصاحب
الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل
في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا باهل زمانه
مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه
وعن النبي ص العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك
لعلمه فهذا هالك وان اهل النار ليتاذون من ريح العالم التارك
لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله فاستجاب
له وقبل منه فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي النار بترك علمه

واتباعه الهوى

واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الامل
ينسي الاخرة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان طالب دنيا
وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها
هلك الا ان يتوب او يراجع ومن اخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجا ومن اراد به الدنيا
فهي حظه وعن السجاد مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم
فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن
الباقر من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف
به وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها
وعن الصادق العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان
اجابه والا ارتحل عنه وعنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على
دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما احب ينبغي للمعلم ان يطهر نفسه
اولا من رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة
السر وقربة الباطن الى الله فكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح
الظاهرة الا بتطهير الظاهر من الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف
قال النبي ص بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة

مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة
عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها
مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال رسول الله صلعم لا يدخل الملائكة
بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم
والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله
عز وجل في القلب الا بواسطة الملائكة   وينبغي للمعلم ان يطلب بتعليمه الله من غير
طمع وان يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه وان يبذل العلم لأهله
ويمنع غير اهله فعن الصادق ع قال قام عيسى بن مريم خطيبا في بني اسرائيل
فقال يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها
فتظلموهم وان لا يقول ما لم يعلم سئل الباقر ع ما حق الله على العباد قال ان يقولوا
ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون وعن الصادق ع قال ان الله خص عباده بآيتين
من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا وقال الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله وعنه اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان تفتي الناس
برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله

لعنته

لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه اريد بالعلم
ما يستفاد من الانوار الالهية والالهامات الحقة كما هو للائمة ع وبالهدى
ما يسمع من اهل بيت النبوة كما هو لنا وملائكة الرحمة الهادون للنفوس الاخيار
الى مقاماتهم في درجات الجنان وملائكة العذاب السائقون للنفوس الاشرار
الى منازلهم في دركات الجحيم والنيران وعن الصادق ع اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم
فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري
فلا يتهمه السائل   ينبغي لمن اراد العبادة لله سبحانه ان يحصل اولا
العلم بكيفية تلك العبادة من ماخذه وماخذ العلوم جميعا اهل بيت النبوة الذين
هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذين علومهم من الله سبحانه سئل الباقر ع
عن قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه ما طعامه قال علمه الذي ياخذه
عمن ياخذه ولما كان تفسير الاية ظاهرا لم يتعرض له وانما تعرض لتاويلها وعن النبي صلعم
من عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وعن الصادق ع العامل على غير بصيرة
كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير الا بعدا والسر في ذلك ان اصلاح
القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالاعمال
البدنية ليست مقصودة بالذات لانها كالاعدام للملكات والعدم لا يكون
مطلوبا الا بالعرض انما المطلوب ان تنكشف لها المعارف الحقيقية من العلم بالله و
ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكل انسان بحسب عقله وفهمه وطاقته

مراتبهم في ذلك ولا ينكشف هذه المعارف الا لمن يتبع ذلك الاصلاح والتطهير
على وجه ماخوذا من صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح واما الشقي
منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة
فالتصفية تضره ولا اعليه اذ تتحرك النفس بالخواطر الوهمية وتستولي عليها
الوساوس النفسانية فيتشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم
الحقة والافكار الصحيحة ولم ياخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه
صلوات الله عليهم فيتشبث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة يراها
كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر
والزندقة وفي زعمه انها صحيحة حقة نعوذ بالله منه وربما يقتدي به غيره فيتعدى
شره ويصير من الجاهلين المتنسكين الخاصين المتظاهرين ومع ذلك قل ما يخلو من
اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته ونظر الى سائر الناس بعين الاحتقار
والازدراء وربما يتمكن باطنه امراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت
الى علاجها وازالتها وربما يظن الرذائل فضائل والعيوب كمالات كما اخبر الله
سبحانه بقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال امير المومنين قصم ظهري رجلان
عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
ينفرهم بتهتكه وقال الصادق لا يقبل الله عملا الا بمعرفة ولا معرفة الا بعمل

فمن

فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له الا ان الايمان بعضه
من بعض معناه ان كل معرفة تثمر حالا وصفاء في النفس وكل حال يحمل صاحبه
على عمل وعبادة وكل عبادة تثمر حالا اخر وصفاء غير الاول وهو يثمر معرفة اخرى سوى
الاولى وهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى يبلغ الغاية ويخلص من
التعب والمشقة ويستقر في مقام الامن والراحة ويصل الى عين اليقين ومثل ذلك
مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما اضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي
سببا لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله من علم وعمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم قد ورد في ذم اهل البدع والاهواء والجهال
المتشبهين بالعلماء اخبار كثيرة عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم ولنورد منها
نبذا ليكون انموذجا لما سواها فعن الصادق عليه السلم قال قال رسول الله صلعم
اذا رايتم اهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم
والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم
الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات
وقال ص اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله
وقال ع ان لكل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل بيتي موكلا به يذب عنه
ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء
فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله وقال ص كل بدعة ضلالة في النار

قال امير المؤمنين ع في خطبة له انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام
تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا فلو ان الباطل خلص لم يخف
على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث
ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه
ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال ع ان من ابغض الخلق الى الله تعالى
لرجلين رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة
قد لهج بالصوم والصلوة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان
قبله مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد موته حمال لخطايا غيره رهن بخطيئته
ورجل قمش جهلا في جهال الناس عان باغباش الفتنة قد سماه اشباه
الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى
اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص
ما التبس على غيره وان خالف قاضيا سبقه لم يامن ان ينقض حكمه من ياتي بعده
كفعله بمن كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيا لها
حشوا من رايه ثم قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري
اصاب ام اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكر ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه
مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم
من جهل نفسه لكي لا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفاتيح

عشوات ركاب

عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض
في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث
وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحلال لا ملي باصدار ما عليه ورد ولا هو
اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق وقال ع الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا
ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة
واغلا ثمنا من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف
من المنكر وعن الصادق ع ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم يزدهم المقاييس
من الحق الا بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن الكاظم عليه السلام من نظر
برايه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر ولما كان غرضنا في هذا الكتاب
مقصورا على حقايق العلوم الدينية اكتفينا بذلك ولم نتعرض لازيد منه ولا للعلوم
الاخر وعن امير المؤمنين ع انه قال العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم
احسنه وزاد في رواية اخرى فان النحل ياكل من كل زهر ازينه فيتولد جوهران
احدهما فيه شفاء للناس والاخر يستضاء به اول وتصديق ذلك في قول الله
سبحانه فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب   في العقايد اعلم ان العقايد لا يجوز اخذها
الا بوحي من الله سبحانه بواسطة الانبياء ثم الاوصياء مع ما فطر الناس عليه
من المعرفة قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

فعلى ورد ان المراد بها المعرفة وفي رواية التوحيد في الحديث النبوي كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والفطرة في الاصل الجبلة
وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من داخل كما ان الشرع عقل من خارج
فان العقل كالسراج والشرع كالزيت يمده فالم يكن زيت لم يشتعل السراج ولو لم
يكن سراج لم يضئ الزيت وايضا العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينفع
البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه فسحقا لاقوام عزلوا عقولهم واعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم
فضلوا واضلوا ثم ان اعقل العقلاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وخير الشرايع
شرعه وانما ارسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط وصدع
بامر الله وهدى الخلق الى صراط الله وارشدهم الى معرفة صانعهم ودعاهم
ببيان وبرهان ناسبا عقولهم ونبههم على ادلة وحجج بلغت اليها افهامهم
وانف كل طائفة من ذلك بما يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال
بالتي هي احسن ومعجزة لمن له المعجزة ابين ليكونوا على بصيرة من امرهم
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم اكمل لهم امور
دينهم بحيث لم يحوج امته الى آراء السالفين فيما يهمهم ويعنيهم
من امر الدين وليس لقائل ان يقول ان ثبوت الانبياء والشرايع يتوقف

على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع بالانبياء
والشرايع وذلك لانه لو لم يكن صاحب هذا الكلام والبيان مقبول القول
ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة
فان براهينه هي المتبعة وبياناته وحججه هي الملزمة على ان ما يتوقف
عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي
يحكم بها كل من له ادنى مسكة قال الله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فقد ثبت ان ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء الى
سبيل الحق مع ما جبل عليه اهل السلامة من العقل المطبوع فلا حاجة الى
تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم وتشعب آرائهم وتناقض اقوالهم
في ابداء الادلة وانتهاض الحجج على امور الدين فانهم جمعوا بين الجهل وسوء
الادب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه مما يزعمونه دليلا فجعلوا انظارهم
في الدين اتم فيا للدلالة معتمدا لعليه الحق عن ذلك فانزل الله دينا ناقصا فاستعان
بهم على اتمامه ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه وادائه
والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء قال امير المؤمنين
القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف
الظلمات الا به   لما ثبت ان حجة الله سبحانه نبينا صلعم وقد ثبت
انه ترك من بعده خلافه للثقلين كتاب الله [illegible]

او صى امته فى ذلك الا بالتمسك بهما كما استفاض به الاخبار من طريق العامة
والخاصة جميعا على الاختلاف فى اللفظ والاتفاق فى المعنى ففى رواية انى
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى اهل بيتى
فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ومعنى عدم افتراقهما ان علم الكتاب
كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعا وفى رواية انى
امرء مقبوض واوشك ان ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين
وفى اخرى الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بايديكم فتمسكوا
به لا تزلوا ولا تضلوا والاصغر منهما عترتى لا تقتلوهم ولا تقهروهم فانى
سالت اللطيف الخبير ان يردا على الحوض فاعطانى فقاهرهما قاهرى وخاذلهما
خاذلى ووليهما وليى وعدوهما عدوى وفى رواية وهما الخليفتان
بعدى وسئل امير المؤمنين ع عن معنى الحديث من العترة فقال انا والحسن
والحسين والتسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون
كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله حوضه وفى رواية من
جعلهما امامه قاداه الى الجنة ومن جعلهما خلفه قاداه الى النار وفى الخبر
المستفيض ان مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف
عنها غرق وفى الكافى عن الباقر ع قال قال رسول الله ص انا اول وافد
على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتى ثم امتى ثم اسالهم

اعلم بحرز

واهل بيتى وعن الصادق عن ابائه عليهم السلم قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم ايها الناس انكم فى دار هدنة وانتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد
رايتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان
بكل موعود فاعدوا الجهاز لبعد المجاز قال فقام المقداد بن الاسود
فقال يا رسول الله وما دار الهدنة فقال دار بلاغ وانقطاع فاذا التبست
عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقران فانه شافع مشفع وما
حل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل
يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل
وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق له نجوم
وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح
الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل
جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلص من نشب فان التفكر حيوة
قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص
عنه قال قال رسول الله ص القران هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة
من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة
ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الاخرة وفيه
كمال دينكم احد عن القران الا الى النار وعن الائمة المعصومين عليهم السلم

من لم يعرف امرنا من القران لم يتنكب الفتن ومنهم عليهم السلم من اخذ دينه من كتاب الله
وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه زالت الجبال قبل ان يزول ومن اخذ
دينه من افواه الرجال ردته الرجال قال محمد بن يعقوب كليني رحمه الله بعد نقل
هذا الحديث ولهذه العلة انبثقت على اهل دهرنا بثوق هذه
الاديان الفاسدة والمذاهب المستشنعة التي قد استوفت شرائط
الكفر والشرك كلها وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه فمن اراد الله
توفيقه وان يكون ايمانه ثابتا مستقرا سبب له الاسباب التي تؤديه الى
ان ياخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعلم ويقين وبصيرة
فذاك اثبت في دينه من الجبال الرواسي ومن اراد الله خذلانه وان يكون دينه
معارا مستودعا نعوذ بالله منه سبب له اسباب الاستحسان والتقليد
والتاويل من غير علم وبصيرة فذاك في المشية ان شاء الله تبارك وتعالى
اتم ايمانه وان شاء سلبه اياه ولا يؤمن عليه ان يصبح مؤمنا
ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا لانه كلما راى كبيرا
من الكبراء مال معه وكلما راى شيئا استحسن ظاهره قبله وقد قال
العالم ان الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون الا انبياء وخلق
الاوصياء على الوصية فلا يكونون الا اوصياء واعار قوما ايمانا فان شاء
تممه لهم وان شاء سلبهم اياه قال وفيهم جرى قوله فمستقر ومستودع

وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما انزل الله عز وجل على نبيه صلعم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قلت
يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اولوا الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك
فقال هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين بعدي اولهم علي بن ابي طالب صلوات الله
وسلامه عليه ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التورية
بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقرأه مني السلم ثم الصادق جعفر بن محمد
ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم
سميي وكنيي حجة الله في ارضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي
يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن
شيعته واوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله
قلبه للايمان قال جابر فقلت له يا رسول الله صلعم فهل ينتفع شيعته به في غيبته
فقال اي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته
كانتفاع الناس بالشمس وان تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون
علم الله فاكتمه الا عن اهله   اعلم ان الناس في فهم العقائد وقبولها
على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة وانما
كلف الله عباده بقدر ما اعطاهم من العقل والفهم والوسع وقال الباقر عم
ان المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنين منهم على ثلث ومنهم

على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل
على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلثا لم يقو وساق
الحديث وقال الصادق ع الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل
فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح
الزايد رجحانه وقال ايضا لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم احد
احدا فينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه وتميزه ترجمة العقايد ليحفظها
حفظا ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله
على قلب الانسان شرحه في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف
ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم
يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في
الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه ولا بد من تقويته
واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ به ولا يتزلزل وليس الطريق
في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران
وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال
يقوى اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القران وحججه
وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار

العبادات

العبادات ووظايفها وما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم
ورويه سيماهم وسيرتهم وهياتهم في الخضوع لله والخوف والاستكانة له
فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي و
التربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت
وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة
فان ما يشوشه الجدال اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه والمشاهدة
تكفيك في هذا برهانا وناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى
من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في
الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم
الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط المرسل في الهواء تفيئه الرياح
مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما
تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم
المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء اخر بعيد عنه ثم
الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقايد ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له
غيرها ولكنه يسلم في الاخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع العرب اكثر
من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف
نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الاخرة

وكان اهلا لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى و
نهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة فان فتح له ابواب من الهداية
ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة
تحقيقا لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين وله درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله
وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه
وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء
والفطنة فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذا هذه واما تفصيل متعلقات العقايد
للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد اشرنا اليهما في الفصل الثالث من الباب
الاول قال محقق الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد بن محمد الطوسي
طاب ثراه اقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا اله الا الله
محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات الله واليوم الاخر
وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد برهان لما
في صفات الله فانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
واما في الاخرة فالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة
وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم وغيرها حادث

ودونه

او قديم بل لو لم يخطر هذا بباله ومات مات مومنا فان غلب على قلبه شك او
اشكال فان امكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين
ولا مرضيا فذلك كاف ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة
والجواب ومهما ذكرنا الشبهة لا يومن ان تتشبث بالخاطر والقلب فيظنها
حقة لقصوره عن ادراك جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا
لا يحتمله عقله ولهذا اوعد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجروا الضعفاء
العوام واما الائمة الذين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام من الكلام
يجري مجرى منع الصبيان عن شاطي الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء
فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور
ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق
كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من
حيث لا يشعرون والصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا تسمح
من السماحة الا في الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من مجاوزة سلوك
اهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به
رسول الله صلى الله عليه وآله فمن اشتغل في الخوض فيه فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ
قال رسول الله صلى الله عليه وآله حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت و
وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فيما امركم الله

به فاضلوا وما نهاكم فانتهوا فهذا تنبيه على منهج الحق وفي مصباح الشريعة
قال الصادق عم اتق الله وكن حيث شئت ومن اي قوم شئت فانه لا
خلاف لاحد في التقوى والمتقي محبوب عند كل فريق وفيه جماع كل خير ورشد
الى ان قال الزم ما اجمع عليه اهل الصفاء والتقى من اصول الدين وحقايق
اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك
وقد اجتمعت الامة المختارة بان الله واحد ليس كمثله شيء وانه عدل في حكمه
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعه لم ولا كان ولا يكون
شيء الا بمشيته وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان القرآن
كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان وان احداثه وافناءه وغيره سواء
لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن اورد عليك
ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع
الفائزين اعلم ان الاسرار التي يكتمها العلماء عن العوام منها ما يقصر عن
ادراكها افهامهم ولا يبلغ اليه عقولهم وذلك كالروح فانه من عالم الملكوت
والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا افشوه اليهم يصير فتنة لهم
قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر
باكثر المستمعين وسر القدر من هذا القبيل ولهذا منع من افشائه ولا

استبعاد

ولا استبعاد في ان يكون ذكر بعض الحقائق يضر ببعض الخلق كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما يضر ريح الورد بالجعل ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا
لفهم ولم يكن فيه ضرورة ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز
ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر
في قلبه كما قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا
كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك
وكذلك ما ورد في الحديث اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله
راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى
هو كائن اذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق ومن رفع راسه
قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو
المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع
بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وهذا النوع يرجع الى التعبير
عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومن هذا القبيل قوله
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فانه تمثيل التأثير
قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها بامر الطائع واجابة المطيع الطائع ومنه

قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو
نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ومنه التعبير عن الصراط
بالجسر الممدود بين الجنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين الى غير ذلك
ومنها مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والتدقيق
بان يصح الاملا بالله فتتفاوت العلمان فيكون الاول كالقشر والثاني
كاللب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان
في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا اراد ما قرب
او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول
بل هو استكماله فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا
القبيل اكثر العقايد   في تفسير الامام ابي محمد العسكري ع في قوله تعالى
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني قال رجل للصادق ع اذا كان
هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم
لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم
وهل عوام اليهود الا كعوامنا يقلدون علماءهم فاذا لم يجز لاولئك
القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال ع بين عوامنا
وعلمائنا وبين علماء اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة
اما من حيث استووا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم

عوامهم

عوامهم واما من حيث افترقوا فلا قال بين لي يابن رسول الله قال ع ان عوام اليهود
كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وباكل الحرام والرشى وبتغيير الاحكام
عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد
الذي يفارقون به اديانهم وانهم اذا تعصبوا ازالوا حقوق من تعصبوا عليه
واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من اجلهم
وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى ان من فعل ما يفعلونه
فهو فاسق لا يجوز ان يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله
فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره
ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه اليهم عمن لم يشاهدوه ووجب
عليهم النظر بانفسهم في امر رسول الله ص اذ كانت دلائله اوضح من ان تخفى
واشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام امتنا اذا عرفوا من فقهائهم الفسق
الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها واهلاك
من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا والترفرف بالبر والاحسان
على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقا فمن قلد من عوامنا
مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة
فقهائهم فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا
على هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه وذلك لا يكون الا

بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب من القبائح والفواحش مراكب
فسقة فقهاء العامة فلا تطلبوا منهم عنا شيئا ولا كرامة

في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم من
هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخرا له تسخير الملك لخدمه وهو ذات الانسان
وحقيقته العالمة بالمعلومات وله في هذا البدن جنود جسمانية هي الاعضاء
وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال
نبينا من عرف نفسه عرف ربه وقال اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وقد يسمى هذا
الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف حيوة البدن عليه وبالقلب لتقلبه في الخواطر
وبالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد يستعمل هذه الالفاظ
الاربعة في معان اخر تعرف بالقراين ثم النفس توصف باوصاف مختلفة
بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الاوامر والنواهي وزايلها
الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية واذا لم يتم سكونها
ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليهما سميت
النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها
قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت و
اطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء

قال الله تعالى اخبارا عن يوسف وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب
انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي
هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وعتو حتى يملكاه و
يستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة
الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه ان يستعين بهذا
الجند فانه حزب الله على الجندين الاخريين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان
فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جندي الغضب والشهوة هلك يقينا
وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم
فيما يفتقر العقل اليه ثم اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته
اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه
الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس
بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم
من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى
قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء

والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن
ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه
العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن
اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق
من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص
عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه
شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الحيل والشر
ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه
اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني
الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان
المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة
فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه
والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا
ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه
وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع
يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير

وغيظ

وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم
الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن
تلبيسه ببصيرته الثاقبة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط
الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط
الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط
المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل
وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب او
خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان همهم البطن والفرج ومنافسة
الاعداء اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث
والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع
والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب فينتشر منها الى القلب
صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب
والاستهزاء والفخر والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم
وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة
المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخب والخنا
وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر

في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقايق الاشياء
ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة
واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته والاستغناء عن عبادة الشهوة
والغضب ولا ينتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة وردها الى حد الاعتدال
صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى
والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل
فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة
والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات
والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه
الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما
الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا
وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في
الدين والى مثل هذا القلب اشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد الله
بعبد خيرا جعل له واعظا كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار
المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم
عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى

وهو الطبع

وهو الطبع والرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع
بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله
واطيعون واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما كثرت الذنوب طبع على القلب وعند
ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر
الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار
دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى
اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال امير المؤمنين ع ان الايمان
ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله
وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود
القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال الباقر ع ان القلوب ثلثة قلب منكوس لا يعي شيئا من الخير وهو قلب الكافر وقلب
فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فايهما كانت منه غلب عليه وقلب
مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيمة وهو قلب المؤمن وقال الصادق ع
ان القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ما فيه ايمان ولا كفر كالثوب
الخلق ثم قال اما تجد ذلك من نفسك قال ثم تكون النكتة من الله في القلب

بما شاء من كفر وايمان   ان القلب مثاله مثال قبة لها ابواب تنصب
اليها الاحوال من كل باب او مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب
او مثال مراة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيتراءى فيها
صورة بعد صورة او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفة من انهار
مفتوحة اليه ومداخل هذه الاثار المتجددة فيه في كل حال اما من الظاهر
فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق
المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في
القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة المزاج
والاثار تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل
القلب من حال الى حال فالقلب دائما في التغير والتاثر من هذه الاسباب
واخص الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من
الافكار والاذكار اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر والخواطر
هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد
خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك
الرغبة والرغبة تحرك النية فالعزم والنية والعزم تحركان الاعضا
والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في العاقبة
والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الاخرة فهما خاطران مختلفان

فافتقر

فالخاطر المحمود يسمى الهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب الخاطر
الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي
به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيأ
لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا والملك عبارة عن
خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف
والشيطان عبارة عن خلق شانه الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف
عند الهم بالخير بالفقر والقلب متجاذب بينهما قال النبي ص في القلب
لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
انه من الله فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي
عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا الشيطان يعدكم
الفقر الاية وقال ص قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه
كيف يشاء كنى به عن سرعة التقليب والقدرة على التحريك
والتغيير باستسخار الملك والشيطان فانهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب
كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة
صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين قبولا متساويا ليس يترجح
احدهما على الاخر الا باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ومخالفتها فمهما
غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا

فوسوس ومهما انصرف الى ذكر الله تعالى انخنس الشيطان وضاق مجاله واقبل
الملك والهم فالتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب
دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيسكن ويستوطن ويكون اجتياز
الثاني اختلاسا قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون   اعلم انه قد يلتبس لمة الشيطان بلمة الملك
فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ
اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار
اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله
عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض
لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه الى الصراط
المستقيم فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف الحيل الى ان
يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين
اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم
ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد شوائب الرياء
وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار
فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير
وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن ان عند الله مكانا

وهو عند

وهو عند الله مكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلعم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل
الفاجر   قال بعض اهل المعرفة ان الهام الملك ووسوسة الشيطان
تقع في النفوس على وجوه وعلامات احدها كالعلم واليقين الحاصلين
من جانب يمين النفس ويقابله الهوى والشهوة الحاصلين من جانب
الشمال وثانيها كالنظر الى آيات الآفاق والانفس على سبيل النظام وا
الاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة
العاقلة التي هي على جانب الايمن من النفس ويقابله النظر اليها على
سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها الشبهة وا
والوسواس والواهمة والمتخيلة التي على جانب الايسر منها فان الآيات المحكمات
بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها مبادي العلوم
اليقينية والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية
لانها مبادي المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار ولائمة
الاطهار في مقابلة اهل الجحود والانكار واهل التعطيل والتشبيه من الكفار
فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن
سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشر ورابعها
كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والاعيان

الشريفة كالايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والبعث
وقيام الساعة ومثول الخلايق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيين
والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي من باب
الجبل والخديعة والسفسطة والشامل فامور الدنيا وفيه العرالجاذبة
عن دار المحسوسات فان الاول يشبه الملائكة الروحانية وجنود
الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماوي والثاني يشبه الابالسة
المطرودة عن باب الله الممنوعة ومن لوج السموات المحبوسة في الظلمات
المحرومة في الدنيا من الارتقاء والمحجوبة في الآخرة عن دار النعيم
اعلم ما يخطر بالبال من السيئة فلا يؤاخذ عليه لانه لا يدخل
تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لانهما ايضا لا يدخلان تحت
الاختيار واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد
بين ان يكون اضطراريا او اختياريا والاحوال تختلف فيه فالاختياري
منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الهم بالفعل فانه لا يؤاخذ
به الا انه ان لم يفعل فان تركه خوفا من الله تعالى وندم على همته كتبت له
حسنة لان همه وسيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم
على وفق الطبع يحتاج الى قوة عظيمة تجده في مخالفة الطبع وهو العمل
لله سبحانه اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبت

له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمته به على همته بالفعل وان تعوق الفعل
لعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب
اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك
عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها
وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وعن امير المؤمنين في قوله تعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الآية عرضت على
الانبياء والامم السابقة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول علم انهم لا
يطيقونها قال اما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على
الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر ان ما لا يدخل تحت الوسع لا يؤاخذ
به وعن النبي صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي تسع خصال الخطاء والنسيان وما لا يعلمون
وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة
والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وعن الباقر
ان الله تعالى جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة
ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه
ومن عملها كتبت له سيئة وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا اجل من غدوة

الى الليل فان استغفر الله لم يكتب عليه وسئل الصادق عن رجل يجيء منه
الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله به فقال الله اكرم من ان يستغلق
على عبده وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وله ذنب يهجره زمانا
ثم يلم به وذلك قوله تعالى الا اللمم قال واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله
منه وعن الكاظم ان الله ايد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه
ويتقي وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي فهي معه تهتز سرورا
عند احسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاح
انفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا رحم الله امرءا هم بخير فعمله او
هم بشر فارتدع عنه ثم قال نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب

في معنى الخلق وتهذيبه اعلم ان الخلق عبارة عن هيئة راسخة في
النفس يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر عن غير حاجة الى فكر وروية
فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا
وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعال قبيحة
سميت خلقا سيئا وانما شرطنا الرسوخ لان من يصدر عنه بذل المال
مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك
في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا السهولة وعدم الروية لان

من تكلف

لان من تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء والحسن عبارة عن الفعل فرب شخص
خلقه السخاء لا يبذل اما لفقد المال او لمانع اخر وربما يكون خلقه البخل
وهو يبذل لباعث او لرياء فلا بد في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة
الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم
فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق
والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح
في الافعال فاذا حصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق
الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب والشهوة فحسنهما
في ان ينحصر انقباضهما وانبساطهما على ما يقتضيه الحكمة والدين واما
قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل او
الشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل
ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما
الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى التأديب حتى يكون
استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها
مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون
جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا
بلا اضافة الى ذلك المعنى خاصة وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر

منها الشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت
قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمى ذلك تهورا وان
مالت الى الضعف سمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف
الزيادة سمى شرها وان مالت الى النقصان سمى جمودا والمحمود هو الوسط
وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات
فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى
افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها
بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق الحسنة الجليلة
واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال
في هذه الاربعة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه وانك
لعلى خلق عظيم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي
ان يقتدى به فانه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اشار القرآن
الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين
وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع
الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال

قوة الغضب

قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه قوما
فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة
موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال
اعلم ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال
بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره
ونقصه فزعم ان الاخلاق لا يمكن تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل
عليه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة
الظاهر فكما ان الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن والثاني
ان حسن الخلق انما هو بحصول قمع الغضب والشهوة وحب الدنيا وعزلها وهذا
امر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات
القلب الى الحظوظ العاجلة وهو محال فنقول لو كان الاخلاق لا تقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال الله تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنوا
اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب من شرة الاكل من الصيد الى التادب
والامساك والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق
والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول ان الموجودات منقسمة الى

الحي الا هو مدخل للادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب
بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ
من وجوده وكماله والحي وجد وجودا ناقصا وجبلته قوة الكمال بعد
وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل
الا انها خلقت خلقة يمكن ان يصير نخلا ان انضاف اليها التربية ولا
يصير تفاحا اصلا الا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار
حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا
قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا
اسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك
وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله وليس المطلوب ازالة ذلك
القمع بالكلية وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة
ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع
لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه
ما يهلكه ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل
الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة
ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط
والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور

وعن الجبن جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل
ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة
بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم صلى الله عليه
وآله وسلم اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكره
فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن
الحق وكان الغضب لا يخرجه قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين
الغيظ وربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها
عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى الاعتدال فدل على ان ذلك
ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها فقد يكون
اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان ويخلق كامل العقل حسن الخلق
قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كالانبياء والائمة عليهم السلام وقد
يكون مكتسبا بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الاعمال التي تقتضيها
الخلق المطلوب فمن اراد ان يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه ان
يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه
فيه حتى بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا النفسه فيه حتى يصير
ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير نفسه جوادا ومن اراد خلق التواضع
وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة

وهو ان يجاهد نفسه ويتكلف الى ان يصير ذلك خلقا وطبعا وجميع الاخلاق
المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه
لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهية
والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن يترسخ الاخلاق الدينية
في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة وما لم يترك جميع العادات السيئة
وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها
ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
جعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية
واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة
خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال النبي ص اعبد الله في الرضا فان لم
تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة
على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون
زمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر
اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله
عليه وآله عن السعادة فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء
والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر لطول العمر

كان الثواب

كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما المقصود
من العبادات تاثيرها في القلب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات
وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله
فلا شيء احب اليه من الله سبحانه ومن لقائه وكل صفة تظهر في القلب
يفيض اثرها على الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على
الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب ولا يظن تزكية النفس انما بعبادة
يوم ولا حرمانها بعصيان يوم لكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تأنس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا وصغار المعاصي يجر
بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة
فلا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعة ولا يستصغر المعصية فان الجملة الكثيرة
منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير وربما يحصل
الاخلاق الحسنة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء
الخير والاخلاق السيئة بمشاهدة ارباب الاعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء
السوء فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات
الثلث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة
ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له
اسباب الشر حتى تعودها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين

من اختلف به هذه الجهات ولكل درجة تحا القرب والبعد بحسب ما يقتضيه
صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فصل اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب
امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى
في عين اخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه
فليطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب
احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه او ليستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط
تبدي المساوي كما قيل وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط
تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من
انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان
الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير
عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم
او يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه
وما يراه محمودا يطالب نفسه به ويحسب نفسه به ويحسب نفسه اليه فان
المؤمن مراة المؤمن فيعرف في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع

متقاربة

متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين
الاخر عن مثله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها
عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه
من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى على نبينا وعليه السلم من ادبك قال
ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته   فيما يؤدي الى مساوي
الاخلاق من البطن والفرج واللسان اعلم ان الاخلاق انما هي تحصل في النفس
بتكرر الاعمال والاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح وكل
جارحة يصلح لان تصدر منها الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة
وان تصدر منه الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق السيئة فلا بد من مراعاة
القلب والجوارح بصرفها الى الخيرات ومنعها من الشرور واعظم المهلكات
لابن ادم شهوة البطن والفرج واللسان ففي الحديث النبوي من وقي شر
قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج و
اللقلق اللسان اما شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوا من دار القرار
الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما
حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات
ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق
الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه

اللذين هما الوسيلة الى التوسع فى المطعومات والمنكوحات ثم يتبع شهوة
المطعم والمنكح شدة الرغبة فى المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع
فى المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الرياء وغائلة
التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والعداوة و
البغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء وكل ذلك
ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه
بالجوع وضيق مجارى الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر و
الطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك فى الدنيا وايثار العاجلة على العقبى
ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا قال النبى صلى الله عليه واله وسلم
ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
فان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
قال ص لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت
اذا كثر عليه الماء وقال ص افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا
وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وقال الصادق ع ان البطن
ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله اذا خف بطنه وابغض ما يكون
العبد الى الله اذا امتلا بطنه وفى مصباح الشريعة قال الصادق ع ليس شئ

اضر القلب

اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهى مورثة لشيئين قسوة القلب وهيجان
الشهوة والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن
وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وبالجملة فوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب
ورقته والاستلذاذ بالطاعة والانكسار المانع عن المعصية والغفلة وذكر
جوع يوم القيمة وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ودفع النوم الذى
يكل الطبع ويضيع العمر ويفوت القيام والتهجد ويسر المواظبة على الطاعة
لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد والاكل ودفع الامراض
الشاغلة منها فان المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء
ثم اعلم ان المقصد الاقصى فى جميع الاحوال والاخلاق الوسط وما ذكر
فى فضائل الجوع ربما يومى الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن
من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان
فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومى عند الجاهل
الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان
المقصود هو الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان يطلب
الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال
ولما بالغ النبى صلى الله عليه واله وسلم فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار

ثم علم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل فنهى عنه فاذا عرفت
هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس
بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود
الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع
ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا معتدلا بحيث
لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل
الطعام وألم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فلزم
القوام وفيه ان لا ياكل طعاما حتى تشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه
واما شهوة الفرج فانما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام
الوجود وكان فيها لذة فيقيس بها لذات الاخرة فان لذة الوقاع
لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان ألم النار اعظم آلام الجسد فالترغيب
والترهيب يسوقان الخلق الى سعاداتهم وليس ذلك الا بألم محسوس ولذة
مدركة محسوسة وفيها فوائد ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان
لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال فان لها ايضا افراطا وتفريطا
فافراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري
فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش
وقد تنتهي هذه الشهوة بمن غلبت عليه الى العشق البهيمي الذي

بلغنا من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادما
للشهوة محتالا لاجلها وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز من
اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وتفريط
هذه الشهوة اما بالعنة الخارجة عن الاعتدال او بالضعف عن امتاع
المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة
للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها يكون
بالجوع وبالنكاح قال رسول الله صلعم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع
فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء   اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات
على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح
يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها
اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمته وليس في شيء من ذلك
ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا تقدر
ففي هذه العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه
باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى
مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة
هذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلعم من عشق فعف وكتم فمات
فهو شهيد وقال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته

امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال انى اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف وامتناعه من زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة
وقد اثنى الله تعالى بذلك عليه فى كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان
فى هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و
يحفظوا فروجهم وقال النبى صلعم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس
فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال اتقوا
فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت من النساء
واما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة
فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة
اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انه ما من موجود او معدوم
خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله
ويتعرض له باثبات او نفى فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما
بحق او باطل ولا شىء الا والعلم يتناوله وهذه خاصية لا توجد فى ساير الاعضاء
فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات
واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان
ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله فى الخير مجال رحب وله فى
الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان

سلكه الشيطان

سلك به الشيطان فى كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى
البوار ولا يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد السنتهم كما فى الحديث
النبوى صلعم ولا ينجى من شر اللسان الا ان يقيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا
فيما ينفع فى الدنيا والاخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته فى عاجله
وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه
على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب
فى تحريكه ولا مؤنة فى اطلاقه وقد تساهل الخلق فى الاحتراز عن آفاته
وغوائله والحذر من مصائده وحبائله وانه اعظم آلة الشيطان فى ا
ستغواء الانسان ولذلك قال النبى صلعم من صمت نجا وقال الصمت
حكم وقليل فاعله اى هو حكمة وحزم وقال صلعم امسك لسانك فانها
صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى
يخزن لسانه وقال صلى الله عليه وآله من راعى موضع كلامه من عمله
قل كلامه الا فيما يعنيه ومر امير المؤمنين برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف
عليه فقال يا هذا انك تملى على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك
ودع ما لا يعنيك وعن السجاد قال ان لسان ابن ادم يشرف على
جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا
ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب

بل وعن الباقر ان شيعتنا الخرس وعن الصادق النوم راحة الجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال في حكمة ال داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال قال لقمان لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع الكلام اظهار ما في قلب المؤمن الصفا والكدر والعلم والجهل قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع المرء مخبوء تحت لسانه فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضا الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم ثبت بهذا انه افضل الوسائل والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد اسرع عقوبة عند الله واشدها ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه وسئل السجاد ع عن الكلام والسكوت ايهما افضل فقال ع لكل واحد منهما افات فاذا سلما من الافات فالكلام افضل من السكوت قيل وكيف ذاك يا ابن رسول الله قال لان الله عز وجل ما بعث الانبياء

والاوصياء بالسكوت انما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا يجنب النار بالسكوت انما ذلك كله بالكلام ما كنت لاعدل القمر بالشمس انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت

اعلم ان افات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير المأذون فيهما وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة وافشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب ولها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ في الذكر والفكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال النبي ص طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله

اعاذنا الله من الكذب والغيبة بغير المأذون فيه لان من الكذب والغيبة ما يجب قال الصادق ع كل كذب مسئول عنه صاحبه الا في ثلثة رجل كائد في حربه فهو موضوع

عنه وجل اصلح بين اثنين يلحق هذا بغيره الملحق به هذا ان يكون الا الاصلاح
بينهما وجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم وكذا وورد عن النبي (ص)
وورد ان في المعاريض المندوحة عن الكذب يعني بالمعاريض التورية
وقال اذا اضطر اليها وقال النبي (ص) من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة
له وقال ليس لفاسق غيبة وقال الواجد يحل عرضه وعقوبته وقال لصاحب
الحق مقال ودلالة الحديث في وجوب غيبة اهل البدع والريب ليحذرهم الناس
وعن النبي (ص) اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس
وفي معنى الغيبة خفاء لا ابدان نكشف الغطاء عنه فقط وعن النبي (ص) انه قال
هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل
ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه
فقد بهته وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) صفة الغيبة ان يذكر احدا بما
ليس هو عند الله عيبا ويذم ما يحمد اهل العلم فيه واما الخوض في ذكر غائب بما
هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به
وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله
ورسوله ولكن على شرط ان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل
في دين الله واما اذا اراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد
مراده وان كان صوابا اقول وينبغي تخصيص هذا الحديث بما اذا لم يكن صاحبه

عالما

عالما بعيبه ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه (ع)
ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امرا قد ستره الله
عليه لم يقم عليه فيه حد وعن الكاظم (ع) قال من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما
لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته وعن الصادق (ع) قال
الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة
والعجلة فلا وصرح بعض علمائنا بتحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لان ادلة
الحكم غير متناولة لاهل الضلال فان الحكم فيها منوط بالمؤمنين او بالاخ والمراد به الاخ في
اخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق وعن الصادق (ع) ان اصل الغيبة يتنوع
بعشرة انواع شفاء غيظه ومساعدة قوم وتهمة وتصديق خبر بلا كشفه وسوء
ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين قال وان اغتبت فبلغ المغتاب فتحلل
منه فان لم يلحقه فاستغفر الله وسائر آفات اللسان مستغنى عن البيان

في الغضب والحقد والحسد اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست
من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد
استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية
الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبابرين التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث
قال خلقتني من نار وخلقته من طين فمن شان الطين السكون والوقار ومن شان
النار التلظي والاستعار والحركة والاضطراب ومن نتائج هذا الغضب الحقد

والحسد وبهما هلك من هلك وضل من ضل وفيضهما مضغة اذا صلحت
صلح لها سائر الجسد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل
العسل وقال من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال الباقر ع ان هذا الغضب
جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت
اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم
الارض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك وقال ع ايما رجل غضب على
ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت وقال كان ابي
يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله
ويقذف المحصنة وقال من كف غضبه ستر الله عورته وقال ان في التورية
مكتوبا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك عند غضبي وقال الصادق ع الغضب
مفتاح كل شر وانما ينبسط الدم عند الغضب اذا غضب الانسان على من دونه
واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام
تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك
يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر
ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وانما يتوجه هذه القوة عند ثورانها
الى دفع المؤذيات التي خلقت لاجله قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد
وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به

والناس

والناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط
والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي
يقال فيه انه لا حمية له وهو ناش جدا من ثمراته قلة الغيرة على الحرم واحتمال
الذل من الاخساء وصغر النفس والجبن والسكوت عند مشاهدة المنكرات
وقد وصف الله خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار
قال الله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الشدة
والغلظة من آثار قوة الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى
تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر
ولا اختيار وسبب غلبته قد يكون فطريا وقد يكون اعتياديا بان يخالط
قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية
فيقول احدهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل لي
ثم يذكره في معرض الفخر لجهله فيسمعه غيره فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب
التشبه بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر على الاستضاءة بنور عقله
لانطفائه بدخان الغضب ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب
الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب
المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن

غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان
الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فهذا
اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبيح الكلام الذي
يستحيي منه ذووا العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب
وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب
والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب
منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه
فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش
المتحير وربما سقط صريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه
شبه الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض
ويكسر المائدة اذا غضب عليهما ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة
والجماد ويخاطبهما ويقول الى متى منك كانه يخاطب عاقلا واما اثره في
القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن والعزم
على افشاء السر وهتك الاستار وغيرها من القبائح فهذه ثمرات الغضب
المفرط وينبغي لصاحبه ان يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط
الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف
فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء

ولو

ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن
الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض
الخير ارفع من بعض   اعلم ان الانسان ما دام يحب شيئا ويحتاج اليه
ويكره ما يخالفه وينافيه منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلة طبيعة
فانه مهما اخذ منه محبوبه او قصده بمكروه غضب لا محالة وهذا يختلف باختلاف
الاشخاص وانما المحبوب الضروري لكل احد ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه
وآله بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا بحذافيرها فمن كان بصيرا بحقائق الامور وسلمت له هذه الثلاثة كل
ما كان ضروريا له خاصة يتصور ان لا يغضب في غيرها الا بغلبة على ان لا يطيع
الغضب ولا يستعمله في المقام الا على ما يستحسنه الشرع ويستحسنه العقل
وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مرة بعد اخرى حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا
واما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته
وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر
اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا ان قيل انما الواجب التالم بفوات المحتاج
اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهو قوته فماتت فلا يغضب على احد وان كان
يحصل منه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب ولا انسان يتالم بالفصد
والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء

كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم
في يد الكاتب ومن وقع عليه ملك بضرب لم يغضب على القلم فيندفع
الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان
الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه
ومرضه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى ان الخيرة فيه
نقول ان هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه انما
يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا
طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله
عليه وآله وعن امير المؤمنين ع قال كان النبي ص لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه
الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على
الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من
غضب على من اخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما
غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا
كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله
بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا
كما ان سلمان رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول
وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة

فلم

فلم يتاثر قلبه بالشتم فاذا يتصور فقد الغيظ واما باشتغال القلب بمهم او
بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ
فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة
ثم قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها والاسباب المهيجة
للغضب هي الزهو والعجب والفخر والهزل والهزء والتعيير والمماراة
والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق
ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها
باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع والعجب بالمعرفة بنفسك والفخر
بمعرفة انه من الرذائل وانما الفخر بالفضائل واما الهزل فتزيله بالجد
في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء
الناس وبصيانة النفس ان يستهزأ بها واما التعيير فبالحذر عن قول
القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال
بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل
خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجها الى رياضة
وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس
عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة
حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد

ذلك وطهرت من هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها
وعلاجه عند هيجان الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما او
الاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل بالماء البارد فان الغضب
من النار كما ورد في الحديث النبوي وان يتفكر فيما ورد في فضائل كظم
الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها
ابتغاء وجه الله وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على امضائه
حشا الله قلبه امنا وايمانا وقال الصادق عليه السلام ما من عبد كظم غيظا
الا زاده الله عز وجل عزا في الدنيا والآخرة وقال عليه السلام كفى بالحلم ناصرا وقال اذا لم تكن
حليما فتحلم وان يخوف نفسه بعقاب الله واحوج ما يكون الى العفو وان
يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته
وان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في
حالة الغضب وان يعلم ان غضبه من جريان الشيء على وفق
مراد الله لا على وفق مراده وعن النبي صلى الله عليه وآله الا ان بني آدم خلقوا على

طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع
الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب
السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء اعلم ان الغضب اذا
لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار
حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه
وان يدوم ذلك ويبقى قال رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن ليس بحقود والحقد
يثمر امورا منها الحسد وهو ان يحمله الحقد على ان يتمنى زوال النعمة عنه
فيغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت به ومنها ان يزيد على
اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها ان يهجره
وينقطع عنه وان طلبه المحسود واقبل عليه ومنها ان يتكلم فيه بما لا يحل
من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره ومنها ان يحاكيه استهزاء
به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها ان يمنعه
حقه من صلة رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل
درجات الحقد ان يحترز من هذه الآفات ولكن يستثقله في الباطن ولا
ينتهي قلبه من بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة
والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة
على المنفعة له او يترك الدعاء له والثناء عليه او التحريص على بره ومواساته

فهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين فضل عظيم ولا ادلى
ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما
للشيطان فذلك مقام الصديقين قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا اخبركم بخير خلائق
الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى من اساء
اليك واعطاء من حرمك وقال عليه السلام عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد الا عزا
فتعافوا يعزكم الله وقال الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على
العقوبة وعن النبي صلى الله عليه وآله ان الله لم يوضع على شيء الا اذله ولا تنزع من شيء الا شانه
وقال الباقر عليه السلام ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق وقال عليه السلام ان الله
رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وقال
الصادق عليه السلام من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال الكاظم عليه السلام
الرفق نصف العيش واعلم ان الحسد من نتائج الحقد كما ان الحقد
من نتائج الغضب ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وذكر الله حسد اخوة يوسف
فعبر عما في قلوبهم وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثم ما اصابهم من ذلك
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام

وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران
لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه
نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك
كذلك فلست منه وليس مني وقال عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان
فان كل ذي نعمة محسود وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد وفي رواية قل
من ينجو منهن الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وقال الصادق عليه السلام
آفة الدين الحسد والعجب والفخر وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه
اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء
فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود
والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد
والحسد اصله من عمى القلوب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر
وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا
ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض
به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج معنى الحسد كراهة
النعمة على المحسود وحب زوالها عنه فان لم يحب زوالها عنه ولكن

دوامها عليه شيء ولكن يشتهي لنفسه مثلها فهذا يسمى غبطة وقد يسمى
منافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والغبطة ان
كان في الدنيا فمباح وان كانت في الدين فمندوب اليها قال النبي صلعم
المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا
فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس
سمى الغبطة حسدا وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان اصابت النعمة كافر
او فاجر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء
الخلق فلا يضرك كراهتها عليه وحبك زوالها منه من حيث انها
آلة للفساد لا من حيث انها نعمة واسباب الحسد المذموم العداوة
والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة
وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما
لانه عدوه فلا يريد له الخير واما ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة
عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز
واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته
وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا
فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما
ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته

في اغراضه

في اغراضه واما ان يكون بحب الرياسة التي تبتني على الاختصاص بنعمة
لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث
النفس وشحها بالخير لعباد الله وان كانت النعمة لا ينتقل اليه وقد يجتمع
هذه الاسباب واكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى
قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة فيهتك حجاب المجاملة
ويظهر العداوة بالمكاشفة   هذه الاسباب انما تكثر بين اقوام
تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون
على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه
وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه
على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه
اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيين فلا يكون بينهما
محاسدة نعم اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا
على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيتولد من التناقض التنافر
والتباغض ومنه تثور بقية الاسباب فلذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر دون
غيره الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد

ام الزوج وابنته وذلك للتزاحم على المقاصد نعم من اشتد حرصه على الجاه
واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم
ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا
فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها
وانما مثال الاخرة نعمة علم الاخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا
عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد
يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد
بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة
والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه والمنزلة عند الله
ايضا لا ضيق فيها لان اجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها
ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم
المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في
يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ
قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة
فيكون ذلك سببا للمحاسدة   اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة
للقلوب ولا تداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد

ان تعرف

ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود
في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك
وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد
سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه
في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد
وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك
غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه
في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا
وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب
وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم
بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها
عليهم ولا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى
مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي
اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك نقدا
ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك اذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله
عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين
على الايمان قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون

الا انفسهم وما يحترزون بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل
قدره الله ولا حيلة فى دفعه بل كل شىء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ومهما
لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه اثم فى
الاخرة واما ان المحسود ينتفع فى الدين والدنيا فواضح اما منفعته فى الدين
فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول او الفعل
بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها
اليه باشتغال حسناتك اليه حتى تلقاه مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت
فى الدنيا من النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى
شقاوتك واما منفعته فى الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعدا
وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذابا اعظم مما انت
فيه من الم الحسد وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم فالحاسد ينبغى ان يحكم
الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل ينبغى ان يكلف نفسه بنقيضها
فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان
حمله على التكبر الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على
كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة فى الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف
وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما احبه عاد الحاسد واحبه وتولد
بينهما الموافقة التى تقطع مادة الحسد وتصير بكلفه اولا طبعا

اخر

اخرا ولا اصل فى العلاج قمع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص
على ما لا يغنى كما ياتى بيانه ان شاء الله تعالى

فى الرياء والكبر والعجب

اعلم ان الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون
الماعون وقال عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال كالذى
ينفق ماله رئاء الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله
تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيرى فهو له كله وانا برئ منه وانا اغنى الاغنياء
عن الشرك وقال عم ان ادنى الرياء شرك وقال سياتى على الناس زمان تخبث
فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا لا يريدون به ما عند
ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه
دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال عم ان الملك يصعد بعمل العبد مبتهجا
به فاذا صعد بحسناته يقول الله تعالى اجعلوه فى سجين انه ليس اياى اراد
به وقال امير المؤمنين اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا فى غير رياء ولا
سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله وقال عم ثلث علامات المرائى
ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد فى جميع اموره
وعن الباقر عم الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال
يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا

ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء وقال الصادق عليه السلام قال الله تعالى
انا خير شريك من اشرك معى غيرى فى عمل عمله لم اقبله الا ما كان لى خالصا وقال
كل رياء شرك انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه
على الله وقال عليه السلام فى قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا
يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهى ان يسمع به الناس
فهذا الذى اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام
ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله
له شرا وقال عليه السلام ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا
اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك والله تعالى يقول بل الانسان
على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وقال من اراد الله
بالقليل من عمله اظهره الله له اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير من
عمله فى تعب من بدنه وسهر من ليله ابى الله الا ان يقلله فى عين من
سمعه ولا بأس بالسرور اذا كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص فيه
لكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله
فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر
الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فيكون

فرح

فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال الله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكذا اذا استدل باظهار الله الجميل
وستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعل به فى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ما ستر الله على عبد فى الدنيا الا ستر عليه فى الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول
فى الحال وهذا التفات الى المستقبل وكذا اذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء
به فى الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر اخرا واجر
السر بما قصده اولا ومن اقتدى به فى طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من
غير ان ينقص من اجورهم شئ وكذا اذا فرح بطاعتهم لله فى مدحهم وبحبهم
للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله
اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرنى قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية وعن الباقر عم انه سئل عن الرجل يعمل الشئ من الخير
فيراه انسان فيسره ذلك قال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله
له فى الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وكذا لا كلام فى كتمان المعاصى
لا لانه يتقدح فيه الورع بل للتحامى عن الهتك ولان الستر مرغوب به
ويعرف بكراهة ظهورها عن الغير او لانه يتألم بالذم فهو مباح لكونه جبليا
او لان الناس شهداء الله كما ورد ولان الذام يضير غالبا ويعرف بسوئه
دينه وذم غيره او للخوف من ان يقصد بسوء او للحياء فهو كريم الطبع كما ورد الحيا

كله خير الحياء شعبة من الايمان او لان لا يتشبه به الغير او حب محبة الناس
له ليعلم محبة الله تعالى فان من احبه الله جعله محبوبا في قلوب الناس
اعلم ان الرياء بالعبادة انما ينشا من جبلة الجهل والغرارة من الم المذمة والطمع
بما في ايدي الناس فيضا عرضا العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض
له من العقاب والمقت والخزي وقال ما يحصل له من العباد والتزين
لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال لترك
الرياء لا محالة مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص
فاذا افسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار هذا مع ما
يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضاء
الناس غاية لا تدرك وكل ما رضي به فريق ليسخطه فريق ورضا بعضهم
في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم
ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيد حمدهم
رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع
بما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان
الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل
والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فاذا قرر في قلبه

ان هذه الاسباب وضررها فتر رغبته واقبل على الله قلبه ويكفيه ان
الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله
عن سره حتى يبغضه الى الناس ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه
وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال
في مدحهم ولا نقصان في ذمهم ثم ينبغي ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق
الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه
على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وذلك وان شق في بداية
المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل
الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ولكن الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله
لا يضيع اجر المحسنين وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اكثر ما يقع
الرياء في النظر والاكل والكلام والمجالسة واللباس والضحك والصلوة
والحج والجهاد وقراءة القران وساير العبادات الظاهرة ومن اخلص لله
باطنه وخشع له بقلبه وراى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود وجد الشكر
عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق اذا استقام
على ذلك في كل حال   واما الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا
وقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه

فلا يليق بذوي المروات ان يتكفلوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة
الناس وان جاز لهم في الخلوة الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة
والبلاد والاشخاص من العباد فلا بد من مراعاة ذلك وعن الصادق عليه السلام
انه نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما
راه الرجل استحيى منه فقال عليه السلام اشتريته لعيالك وحملته
اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري لعيالي الشيء ثم احمله
اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوني على ذلك مع ان جدي
امير المؤمنين كان يفعل مثله الا انه لما كان تغير الزمان الايجاب عليه عدم جواز
له ان يرتكبه وكان ضعته له وتعليما وروي ان رسول الله ص اراد يوما
ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره
فقيل له او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين ع ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما
يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في احسن الهيئة وقال الصادق ع
الثوب النقي يكبت العدو وكل ذلك رياء محبوب   واما الكبر فهو
من نتايج العجب والتكبر ينشا من الحقد والحسد او الرياء وقد ذم الله التكبر
في مواضع من كتاب الله قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال رسول الله ص

صلى الله عليه واله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل
من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
وقال الباقر ع الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال الصادق ع
الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق وفسر عليه السلام في رواية اخرى
سفه الحق بان يجهل الحق ويطعن على اهله وغمص بحقر الناس والتجبر عليهم
قال عليه السلام ما من احد يتكبر او يتجبر الا لذلة وجدها في نفسه وقال ع
ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى الله شدة حره وسأله ان ياذن
له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم وقال ان المتكبرين يجعلون في صور الذر
يتوطاهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال عليه السلام ان في السماء
ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي ص
ما تواضع احد لله الا رفعه الله وعنه ع انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده
فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وعنه ص انه قال لاصحابه ما لي
لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وعنه ص
قال اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا
عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وعن السجاد ع انه مر على المجذومين
وهو راكب حماره وهم يتغدون فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني
صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه

ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم وعن الكاظم ع قال التواضع ان تعطي
الناس ما تحب ان تعطاه وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع التواضع
اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها
لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله
وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع
علامات يعرفها اهل السموات من الملائكة واهل الارض من العارفين قال الله
عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله
وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها الا
وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده
المتصلين بوحدانيته قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل
خير خلقه وسيد بريته محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع فقال عز وجل
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخشوع
والخضوع والخشية والحياء وانهن لا ياتين الا منها وفيها لا يسلم الشرف التام
الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله   المتكبر فقد يكون على الله كما كان
لنمرود وفرعون وقد يكون على سائر الناس بان يستعظم نفسه ويستصغر
غيره فاذا سمع الحق من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بمجلده كما يكون

لاكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ثم قد يكون بالعلم وقد يكون
بالعبادة والورع وقد يكون بالنسب والحسب والجمال والمال والقوة و
كثرة الانصار والاتباع والتكبر بالعلم له سببان احدهما ان يكون اشتغاله
بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث النفس
رديء الاخلاق لم يهذب نفسه اولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض
نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف
العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وعلاجه
ان يعلم ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا
عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع فلا بد ان يكلف نفسه
ما يحب مولاه وان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من
الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته
افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وآله يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور
بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت
آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله علماء اليهود
بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب وقال عيسى بن مريم ع ويل للعلماء السوء
كيف تلظى عليهم النار وقال الصادق ع يغفر للجاهل سبعون ذنبا

قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وعلى العابد الورع ان يعلم ان من يتقدم عليه
بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما ان العلم يمكن ان
يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه ان الحسنات
يذهبن السيئات ولم يعرف العالم في حقه مستيقن وانما المدار على الخاتمة
فعليه ان يراعي هذا الخوف ومن تهمته ان يقول لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يبعد
نهر سهمه خائفا من العاقبة ويقول لعل من هذا باطن فاذا لعل خيرا له ولا ادري
لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن
الاعمال ورعي ظاهرها فكذلك شرك الا امن فيما اظهر من الطاعة ان يكون دخلها
الافات فاحبطها وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضا
الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلبه
الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى والذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل
عظيم من قبولها ومن يتكبر بالنسب من جهة الغيب فليداو قلبه بمعرفة
امرين احدهما ان هذا جهل من حيث تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت
بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب
ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي
ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت انما انت دودة

خلقت من فضلتي والثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه
القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى
نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين واما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر الى باطنه
نظر العقلاء ليرى من القبائح ما يكدر عليه التعزز بجماله فانه وكل به الاقذار
في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق
في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان
تحت ابطه يغسل الغائط كل يوم دفعة او دفعتين بيده ويتردد الى الخلاء كل
يوم مرة او مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه
او يشمه وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم
الحيض وخرج من مجرى البول الى الرحم فيغتذي دم الحيض ثم مجرى القذر ولو
ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت
منه الانتان والاقذار وصار جيفة اقذر من سائر الاقذار
واما التكبر بالقوة فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض
وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل
وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في
انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته

وان حمى يوما تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة ثم ان اقوى انسان لا يكون
اقوى من حمار وفيل وجمل وبقر واي افتخار في صفة تسبقه البهائم
واما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات
الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان
لثروته يسبقه اليهود وان لثروته ياخذه السارق والتكبر بتمكن
السلطان بناء امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه
كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل
اعلم انه لا يتم الشفاء من الكبر الا باستيصال اصله من سنخه وقلع شجرته
من مغرسه في القلب وذلك بان يعرف ربه وان لا يليق العظمة والكبرياء
الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل
من كل قليل ولا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة ويكفيه اية واحدة
من كتاب الله عز وجل ان فتحت بصيرته قال الله تعالى قتل الانسان ما
اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ثم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود
باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في
دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة
والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم ليهدم البعض من اجزائه

البعض

البعض شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها
ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم
الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيغفل
عنه فلا يغفل ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس
والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما
يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة فتهلكه
وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من
ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج اعضاؤه
ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو
مضطر ذليل ان ترك ما بقي وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شيء
من نفسه ولا غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبرياء
لو لا جهله فهذا اوسط احواله فليتأمله واما اخره ومورده فهو الموت
المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره جيفة منتنة قذرة ثم تبلى اعضاؤه
وصورته وتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما رفاتا ثم يصير
روثا للحيوان في اجواف الديدان يهرب منه الحيوان ويستقذره
كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان
ويعمر به البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي

شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال
القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة
وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة
غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى
صحائف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير
وقطمير وهو معنى قوله عز وجل ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر
بل ماله والفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر واما العلاج العملي فهو التواضع
بالفعل لله تعالى ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين فقد ورد
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان ياكل على الارض ويقول انما انا
عبد اكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد
فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة وللتواضع امتحانات
يعرف بها التواضع فلا بد ان يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بانه
متواضع فانه قد يظهر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت
الواقعة عادت النفس الى طبعها ونسيت وعدها ثم المحمود
ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم
واحب الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل
واما العجب فهو اعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها

الى المنعم

الى المنعم فان كان خائفا على زوالها مشفقا على تكدرها او كان
فرحه بها من حيث انها نعمة من الله دون اضافتها الى نفسه فليس بعجب
فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه
بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه سمي ادلالا بالعمل وكانه يرى
لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه
فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه
عن قضاء حقه كان مدلا عليه قال الله تعالى في معرض الانكار ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم وقال وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله
من حيث لم يحتسبوا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا
يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطي فيه كما يعجب بعمل
هو مصيب فيه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال
النبي ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وقال صلى الله عليه واله اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وقال لو لم تذنبوا لخشيت
عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى
علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك لما ابتلى مؤمنا
بذنب ابدا وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل

فليتدبر ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلا يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه
وعنه عليه السلام قال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلاتك فقال
مثلي يسأل عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكاؤك
قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل
من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله شيء وعن الباقر
قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد
والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه دخل العابد المسجد
مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق
في التندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال النبي
قال موسى لابليس اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت
عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه
وقال قال الله تعالى لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين
قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر
الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب
الا هلك وعن الكاظم انه سئل عن العجب الذي يفسد العمل فقال
العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه
ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه

فيه المن وفي مصباح الشريعة قال الصادق العجب كل العجب ممن يعجب
بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج
الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من غير حق كاذب وان خفي دعواه وطال
دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز فقير
ويشهد على نفسه لتكون الحجة عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها
الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها
الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر
الكفر وزرع النفاق ولا بد من ان يثمر   اعلم ان آفات العجب كثيرة
منها ان يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما اشير اليه ومنها انه يدعو الى
نسيان الذنوب واهمالها [?] فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد
في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها
ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين
منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال
كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية
عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف
دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه
عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية

من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان اعجب
برأيه وعمله وعقله منعه ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال
فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب
بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر
عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال
ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء
الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله
الى الحق فهذه وامثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكات ومن
اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك
الصريح الذي لا شبهة فيه   اعلم ان الانسان قد يعجب بالاسباب
التي بها يتكبر وعلاجه فيما ذكرناه في الكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه
بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله وقد اخبر رسول الله ص ان ذلك يغلب على
آخر هذه الامة وبذلك هلك الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برأيه وكل حزب
بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم
بآرائهم وهو ما يسوق اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه
حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الرأي الخطأ جاهل
بخطائه ولو عرفه لتركه فلا يعالج الداء الذي لا يعرف والعارف يقدر

على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغي
الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها
نعمة وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه
في الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب الله
او سنة نبيه او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان
ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثابت
وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول
ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب
لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها
ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به ويتبع ائمة الهدى من اهل بيت النبي
صلوات الله عليه وعليهم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث
وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وسائر
الاعمال المرضية   ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده
وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض
العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات فان العجب بها اغلب من
العجب بالجمال والقوة والنسب ومما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه

فيقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب اما ان يكون يعجب
به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وقدرته
وقوته فان كان الاول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه
من جهة غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان
الثاني فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وساير الاسباب التي
بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه
من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله
وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة
ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فيقول
هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق
من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك
وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد
بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل
ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من فضله
وجوده فان قلت هو الذي خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة
والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك
عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعه من غير

مشاركة

مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة
ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد
ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا
بعد شيء هو الذي خيل اليك انك وجدت عملك وقد غلطت فان تحريك البواعث
وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن
العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب عمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله
وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات
واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير وردعه وسلطها
عليك حتى تيسر لك الخير ويسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة
سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم روي ان ايوب على نبينا وعليه السلام قال الهي انك
ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشر
الاف صوت يا ايوب اني لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال
منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وآله ما منكم من احد ينجيه
عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فاذن هذا
هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله
خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها   في ذم الدنيا والاغترار بها وفيها خمسة ابواب

في معرفة الدنيا والاخرة فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين
من احوال قلبك والقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي
المتاخر يسمى اخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة
ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل
وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم وذلك لان ما يصحبك في الدنيا وتبقى معك
ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة
وانما يسمى بالدنيا باعتبار دنوه فان العالم قد يانس بالعلم حتى يصير ذلك
الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها
فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من
الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذها
بحيث لو منعت عنه لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول
ان من جملة العمل الصالح الذي هو من الاخرة التعرض للرزق قال النبي صلى الله عليه وآله
العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال صلى الله عليه وآله وسلم
ملعون من القى كله على الناس وقال امير المؤمنين ع اوحى الله تعالى الى داود انك
نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود اربعين
صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد

فكان يعمل

وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها
بثلثمائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال السجاد ع الدنيا دنياءان
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر ع من طلب الرزق في الدنيا استعفافا
عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل
القمر ليلة البدر وقال الصادق ع الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال ع
في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي فاما رزقي
فسياتيني وقال ع ان الله ليحب الاغتراب في طلب الرزق وقال له رجل والله
انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود
بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق بها واحج واعتمر فقال ليس هذا
طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته
لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان اباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها
وعن علي بن ابي حمزة قال رايت ابا الحسن عليه السلام يعمل في ارض قد استنقعت
قدماه في العرق فقلت جعلت فداك اين الرجال فقال يا علي قد عمل باليد من هو
خير مني في ارضه ومن ابي فقلت ومن هو فقال رسول الله ص وامير المؤمنين وآبائي
عليهم السلام كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء
والصالحين   اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفاء
القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب

وطهارته لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله
والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر
وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات
الصالحات وقد ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب
من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة
تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما يوصلان العبد الى لذة
اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة
فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن
له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة
جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم
عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب
الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه
وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس
الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذن سالك
طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي
الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه
ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن

لا ينال

لا ينال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر
الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن
من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك على
قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها
الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله
في الاخرة ويسمى حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه
لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف في عرصات
القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب اذ
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب
بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على
القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا
عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات
دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة
لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات
لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الازمان والدهور دون غايتها وكل
من كانت معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى
على نبينا وعليه السلام وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس

وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان على نبينا وعليه السلام في ملكه كان
يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك نفسه بهذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذائذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا
زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فكان يطوي اياما وكان
سنة الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا
لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده
لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه
وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فليس من الدنيا
فقد ظهر مما ذكرنا ان الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة
ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل
في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها
قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة
الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد
علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها

حتى يصير

حتى يصير قلبه كالعبد والمحب المستهتر ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات
القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن
والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر فهذه هي الدنيا الباطنة واما
الظاهرة فهي الاعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله
باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف
التي الخلق مشغولون بها بحيث نسوا انفسهم ومآلهم ومنقلبهم ولو عرفوا
سبب الحاجة اليها واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما
استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتداعت الاشغال
واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة
الاشغال ونسوا مقصودها وكلما ورد في ذم الدنيا يرجع الى هذا

فيما ورد في ذم الدنيا اعلم ان الدنيا عدوة الله وعدوة لاولياء الله
وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله
ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت
لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في
مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها و
مكيدتها واقتنصتهم بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا عليها
فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد

ثم حرمتهم عن السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها
يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وا
الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف
الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود بعث الانبياء ولم يبعثوا
الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض
الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجا لغيره مما لا يحصى وعن الصادق ع
قال خرج النبي ص وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الارض فقال
يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير
ان تنقص شيئا عندي فقال رسول الله ص الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من
لا عقل له فقال الملك والذي بعثك بالحق نبيا لقد سمعت هذا الكلام من ملك
يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وعنه ع قال مر رسول الله ص
بجدي اسك ملقى على مزبلة ميتا فقال لاصحابه كم يساوي هذا فقالوا
لو كان حيا لم يساو درهما فقال النبي ص والذي نفسي بيده الدنيا اهون
على الله من هذا الجدي على اهله وعنه عليه السلام قال قال رسول الله ص
ان في طلب الدنيا اضرارا بالآخرة وفي طلب الآخرة اضرارا بالدنيا فاضروا
بالدنيا فانها احق بالاضرار وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة
في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها وعنه عليه السلام قال كتب
امير المؤمنين ع الى بعض اصحابه يعظه اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل
معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى الا به فان من اتقى الله جل وعز وقوي وشبع
وروي ورفع عقله عن اهل الدنيا فبدنه مع اهل الدنيا وقلبه وعقله معاين
الآخرة فاطفأ بضوء قلبه ما ابصرت عيناه من حب الدنيا فقذر حرامها
وجانب شبهاتها واضر والله بالحلال الصافي الا ما لا بد له منه من كسرة
يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته من اغلظ ما يجد واخشنه ولم يكن
له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الاشياء
فجد واجتهد واتعب بدنه حتى بدت الاضلاع وغارت العينان فابدل الله
له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الآخرة اكثر فارفض
الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب فتدارك ما بقي
من عمرك ولا تقل غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلك باقامتهم
على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون فنقلوا
على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون
فانقطع الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار
ولا انخزال اعاننا الله واياك على طاعته ووفقنا واياك لمرضاته وقال

امير المؤمنين عليه السلام في صفة الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء
في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر
فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها
بصرته ومن ابصر اليها اعمته وعن الباقر عليه السلام قال قال علي
بن الحسين عليهما السلام ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت
مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء
الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة الا ان الزاهدين
في الدنيا اتخذوا الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا
من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن
اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه
المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن
راى اهل النار في النار معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة
انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة
طويلة اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم
يجارون الى ربهم يسعون الى فكاك رقابهم واما النهار فحلماء
علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم
الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم

امر عظيم

امر عظيم من ذكر النار وما فيها وعن علي بن الحسين عليهما السلام انه سئل
اي الاعمال افضل عند الله تعالى فقال ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله
افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا فاول ما عصي الله
به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص
وهي معصية ادم وحوا حين قال الله تعالى لهما فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما
الى يوم القيمة وذلك ان اكثر ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة اليه ثم الحسد
وهو معصية ابن ادم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء
وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو
والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء
والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس كل خطيئة والدنيا دنيا ان
دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وعن الباقر عليه السلام انه قال لجابر الجعفي
من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر ما الدنيا وما
عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها
يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها ولم يامنوا قدومهم
الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا
اهل غفلة وكان المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة لم يصمهم عن ذكر الله

تعالى ما سعى لها ذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا
بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث وعن الصادق ع قال اذا اراد الله
بعبد خيرا زهده فى الدنيا وفقهه فى الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن
فقد اوتى خير الدنيا والاخرة وقال الا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان
حتى تزهدوا فى الدنيا وقال اذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة
حب الله وكان عند اهل الدنيا كانه قد خولط وانما خالط القوم حلاوة
حب الله فلم يشتغلوا بغيره وقال ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى
يسمو وقال جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا ثم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجد الرجل حلاوة الايمان فى قلبه حتى لا يبالى
من اكل الدنيا وعنه عليه السلام من زهد فى الدنيا اثبت الله الحكمة فى قلبه
وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا
سالما الى دار السلام وعن الكاظم ع قال قال ابو ذر عليه الرحمة جزى الله
الدنيا عنى مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى باحدهما واتعشى بالاخر
وبعد شملتى الصوف اتزر باحدهما وارتدى بالاخرى وعن الرضا ع
قال عيسى بن مريم للحواريين يا بنى اسرائيل لا تاسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا ياسى
اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم اذا اصابوا دنياهم   وعن النبى صلى الله عليه وآله
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء

وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ص
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله وقال صلى الله عليه وآله وسلم
يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله
عليه وآله الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا
ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله
عليه وآله وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله فى شىء والزم الله
قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا
وفقرا لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ع لتاتينكم بعدى
دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب وقال لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
واوحى الله تعالى الى موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتينى بكبيرة هى اشد
عليك منها وقال على بن ابى طالب عليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف
الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل
لمن اصبح والدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله وقال
لقمان لابنه يا بنى بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك
بدنياك فتخسرهما جميعا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل
له والاخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها

طلب من يعمرها والجنة دار عمرات واعمر منها قلب من يطلبها ولنذكر
بعض الامثلة التي وردت في صفة الدنيا قال الله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وقال النبي صلى الله عليه وآله الدنيا حلم واهلها عليها مجازون معاقبون وقال صلى الله
عليه وآله في قلة ما بقي من الدنيا بالاضافة الى ما سبق مثل هذه الدنيا مثل
ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط
ان ينقطع وقال ص ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وكتب امير المؤمنين عليه السلم
الى سلمان رضي الله عنه مثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها
ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك
همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون منها
فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته عنه مكروه والسلام
وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل بهذا البيت يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها
ان اغترارا بظل زائل حمق وعن الباقر ع في حديث جابر فانزل الدنيا
كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت
وليس معك منه شيء قال اني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند اهل
اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعنه عليه السلام قال مثل الحريص

على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج
حتى تموت غما وعن الصادق ع مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان
ازداد عطشا حتى يقتله وروي ان عيسى على نبينا وعليه السلام كوشف بالدنيا
فرآها في صورة عجوزة شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت
قالت لا احصيهم قال لها فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت
فقال عيسى ع بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تقتليهم
واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر وقال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها
ولا تعمروها وقال بعض الحكماء ما اشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته
من الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية
الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل
ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى
ذلك البئر جرذان ابيض واسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا
ولا يفتران عن قرضه آنا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان
ويشاهد انقراض الحبل آنا فآنا قد اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك
البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك
فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه
الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر

والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للاعمار
والعسل المخلوط بالتراب هو لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات والآلام
والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وما اشد انطباق هذا المثال
على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ونعوذ به من الغفلة والعماية
في ذم حب المال اعلم ان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف
واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واتم محنتها واعظم
فتنة فيها انه لا غناء عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقدت
حصل منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان
الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوايد والآفات
وفوايدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها
من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء
الراسخين ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص وللحريص حالتان طمع
فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد
حالتان امساك لتعاق والمنفق حالتان تبذير واقتصاد وهذه امور
متشابهة وكشف الغطاء عن الغوص فيها مهم قال الله تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة وقال عز وجل لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي

مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت
وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله
قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان
خلفه احب ان يتخلف معه   واعلم ان الله سبحانه قد سمى المال خيرا
في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الآية وقال رسول الله نعم المال الصالح
للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق في الحج فهو ثناء
على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وتحقيق القول فيه ان المال قد يكون
وسيلة الى مقصود صحيح وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي
المقاصد الصادة عن سعادة الابد وليسد سبيل العلم والعمل فهو
اذن محمود ومذموم محمود بالاضافة الى المقصود المذموم ولما كانت الطباع
مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها والة
اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال
نبينا ص اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره
وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا   اعلم ان مثل المال مثل
حية فيها سم وترياق ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف
غوائلها وفوائدها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما
الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها

المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود

فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لما تهافتوا على طلبها
واما الدينية فهي ثلثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في
استعانة على عبادة والثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة
والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها
وانها لتطفي غضب الرب واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء
والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه مما يكتسب به العبد
الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء فانه لا يوصف بالجود الا من
يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم
الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام
من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني بها
بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم
وهذا ايضا مع تنجز فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله
ما وقى المرء به عرضه كتب له صدقة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي
يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه لضاعت
اوقاته وتعذر عليه سبيل الآخرة بالفكر والذكر اللذين هما اعلى مقامات
السالكين النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان الى انسان معين ولكن يحصل
به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب

الحباب في الطريق وغيرها من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد
الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية فهذه جملة فوايد المال
في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر
والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار
والكرامة في القلوب واما الآفات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة انواع
الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية
ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك
داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت الداعية والمال نوع
من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه
هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم
من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات
فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك
لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله
ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر
عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على
التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة
والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه

فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان يداهنهم
ويعصى الله فى طلب رضاهم فان سلم من الافة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا
يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويترتب
عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير
المعاصى التى تخص القلب واللسان ولا تخلو عن التعدى ايضا الى ساير
الجوارح وكل ذلك يلزمه من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث
وهو الذى لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى
وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى على نبينا وعليه السلم
فى المال ثلث ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه فى
غير حقه فقيل ان وضعه فى حقه قال يشغله اصلاحه عن الله وهذا
هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر فى
جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسى ويصبح متفكرا
فى خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته وخصومة الشركاء ومنازعتهم
فى الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان فى الخراج وخصومة الاجراء
فى التقصير فى العمارة وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه
وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه المال وكذلك صاحب المواشى
وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت

الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف
ممن يعثر عليه وفى دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية
لها والذى معه قوت يومه او سنته فى سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الافات
الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب
فى دفع الحساد وحفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف
الباقى الى الخيرات وما عداه سموم وافات اعلم ان الفقر محمود ولكن
ينبغى ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى ايديهم
ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الكفاف ويقصر الامل فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة
وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص فقلة القناعة تجر الحرص والطمع الى
مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمى على
الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان
لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا
التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وآله وسلم منهومان لا يشبعان
منهوم العلم ومنهوم المال وقال ع يشيب ابن ادم وتشب فيه خصلتان
الحرص وطول الامل ولما كانت هذه جبلة للادمى مضلة وغريزة مهلكة
اثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال ع طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه

عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان
اوتى قوتا فى الدنيا وقال يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب
فقركم والا فلا وقال ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقال
ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله واجملوا فى الطلب وقال امير المؤمنين ع ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا
ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا
يكفيك وقال الباقر ع اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله تعالى
لنبيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش
رسول الله فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجد
وقال الصادق ع ان الله يقول يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب
له منى ويفرح عبدى المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له منى وقال
كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقا فى معيشته وقال فى مناجاة موسى
يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى
مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته لا نجاة من غائلة المال الا بالمحافظة على امور
الاول ان يعرف مقصد المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا
يحفظ الا قدر حاجته والثانى ان يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض

وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروة والثالث
ان يراعى جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وفى الحديث النبوى ع
ما عال من اقتصد والرابع ان يضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير
حقه فان الاثم فى الاخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سواء والخامس ان يصلح
نيته فى الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به
على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود
المال قال امير المؤمنين ع لو ان رجلا اخذ جميع ما فى الارض واراد به وجه الله
فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد ان قيل ايهما افضل
الغنى بنية الاستعانة على العبادة او الفقر بنية التفرغ لها قلنا الافضل
منهما ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله عن الله فالغنى اولى به
وان كان الغنى يشغله عن الله فالفقر اولى به وذلك لان فضل الفقر والغنى بحسب
عدم تعلق القلب بالمال وتعلقه فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان
هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن
المال ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب
نفسه وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا
فليطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقر وانسه بالدنيا

اضعف في الباء وبتدبر ضعف علامته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته
فان حركات اللسان والابدان ليست مرادة لاعيانها بل ليثبت بها الانس بالمذكور
ولا يكون تاثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيرها في قلب مشغول
ولهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ثم ليس معنى الفقر ان
لا يملك شيئا البتة قال الصادق ع في كلام له مع الصوفية ثم علم الله نبيه كيف
ينفق وذلك انه لو كانت عنده ٤٠ اوقية من الذهب فكره ان تبيت عنده فتصدق
بها واصبح وليس عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه
وكان رحيما رقيقا فادب الله عز وجل نبيه بامره فقال ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا يقول ان الناس قد يسالونك
ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال فهذا
ثم من علمهم بعده في فضله وزهده سلمان الفارسي رضي الله عنه وابو ذر رحمه الله
فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه
من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري لعلك
تموت اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي
الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من
العيش ما يعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت واما ابو ذر فكانت
له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف

او رأى

او رأى باهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر
ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل
عليهم ومن ازهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله ص ما قال ولم يبلغ من امرهما
ان صارا لا يملكان شيئا البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم
ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا ايها النفر اني سمعت ابي يروي
عن ابائه ان رسول الله ص قال يوما ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض
جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض
ومغاربها كان خيرا له وكل ما يصنع الله به فهو خير له فقد ظهر مما ذكرناه
لا خلاص من شبكة الدنيا وغوائلها الا بالزهد فيها وهو ان لا يريد فيها شيئا الا
بقدر ضرورة بدنه وهو مقام عال قال الله فخرج على قومه في زينته الى قوله
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف
اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال عز وجل من كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي ص من اصبح وهمه الدنيا شتت الله
عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا
الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته
وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رأيتم العبد قد اعطي
صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقال الزهد في الدنيا

يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اراد
ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا والزهد ثلث
درجات السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الاخرة وهذا
زهد الخائفين والثانية فوقها ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة وهذا الزهد
الراجين والثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه
وهذا زهد العارفين والزهد باعتبار احكامه ينقسم الى فرض ونفل
وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة
هو الزهد في الشبهات وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع الزهد مفتاح
باب الاخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير
تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها
ولا عوض لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابدا هاربا من الآفة
معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز
والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الاجل على محبة العاجل
والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة وسئل الصادق ع
عن الزاهد في الدنيا فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها
مخافة عذابه وقال ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال
بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله وقال

امير المؤمنين

وقال امير المؤمنين عليه السلام الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع
من كل ما حرم الله عز وجل وقال عليه السلام الزهد كله بين كلمتين من
القرآن قال الله سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم فمن
لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ولعل ما ذكرناه
تمام في معناه اعلم ان من ثمرة الزهد السخاء ومن ثمرة الرغبة في
الدنيا البخل فالمال ان كان مفقودا ينبغي ان يكون حاله السخاء واصطناع
المعروف فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر
النبي ص حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية على الارض
فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال قال جبرئيل عليه السلام
قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جبل الله اولياءه الا على السخاء وحسن
الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن
الكلام وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال
طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال ان السخي قريب من الله قريب
من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله
من عابد بخيل وادوى الداء البخل وارفع درجات السخاء الايثار وهو ان

بجود بالمال مع الحاجة اليه قال الله تعالى في معرض الثناء ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى
شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وينبغي الفقير ان لا يمنع بذل القليل
ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل
عن ظهر غنى قال النبي صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف
درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من ماله مائة الف
تصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه
فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف واعلم ان الامساك
حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما
وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين
البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي
ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه بل ينبغي
ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى
ما يجب صرفه اليه شرعا او مروءة وعادة وواجب المروءة والعادة يختلف

في الاحوال

في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة ما لا يستقبح من الاجانب
ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح امثاله في المبايعة
والمعاملة الى غير ذلك وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم
من حفظ المال وفي مقابلة السخاء والجود

في ذم حب الجاه

واعلم ان اصل
الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو آفة عظيمة وحبه مذموم بل المحمود هو الخمول
الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال الله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا
في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال في دين الرجل المسلم وقال انما
هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وعنه صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من
عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وعن امير المؤمنين رضي الله عنه
تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر تعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار و
تغيظ الفجار وقال الصادق اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت
النعال خلف رجل الا هلك واهلك وقال عليه السلام ملعون من ترأس
ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يؤبه
له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه
من الدنيا شيئا وعنه صلى الله عليه وسلم ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء

الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى
ينجون من كل غبراء مظلمة واعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى
المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصل الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات
ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوصل باستعمال اربابها
في الاغراض والمقاصد وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات
فكذلك يكتسب القلوب بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف
والاعتقادات وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له
وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط
ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده
وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب
اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب
وعلومها وتخيلاتها كما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب
الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم
بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد
متأب بطبعه ولو خلي ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة
طوعا ويبغي ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية
والطاعة له فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب

يكون قدرته

ان يكون قدرته على ارباب القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه
وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده
فيثني عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر
اعتقاده وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر
في المحافل والتقديم في جميع المقاصد وملك القلوب ترجح على ملك المال من وجوه
الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم
او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال
ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل
الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله
واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له والثاني ان المال معرض للتوى والتلف
لانه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة
ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فان
ذا الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصرف
وتقبيح الحال وتغير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون
دفعه والثالث ان ملك القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل
او غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما تعتقده لغيره ويستطار في
الاقطار فتقتنص القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد

الواحد ويمنا بعد ليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه
فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة ولما احب جمع المال وكنز الكنوز
وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراجع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار
الصيت الى اقاصي البلاد التي يعلم قطعا انه قط لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه
او يعينوه على غرض من اغراضه فله سببان احدهما جلي والاخر خفي بدق عن افهام
الاذكيا فضلا عن الاغبيا وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة
مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه الا الغواصون واما الجلي فهو دفع الم الخوف
لان الشفيق لسوء الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل
الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر
ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود
مال اخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا الشفقة على نفسه
وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الافات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة
المال حتى ان اصيب بطايفة من ماله استغنى بالاخرى وهذا خوف
لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى
ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك ورد منهومان لا يشبعان منهوم العلم
ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب

الا بالله

الا باعد عن وطنه وبلد ونائه لا يحتمل عن تقلبه بسبب من عجائب الى ان
ان يرجع او لئلك من اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم واما
السبب الخفي وهو الاقوى ان الروح امر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى
الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود فهو على النفس ولكن لا يعجز النفس
عن درك المشتهى الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتهية له
وملتذة به لذاته لان المحبوب وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال
ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته وعدم صفات الكمال من ذاته
فصار الاستيلاء على الاموال والقلوب محبوبا بالطبع وان كان لا يحتاج
اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلبا استرقاق العبيد
واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة اعلم ان الكمال الحقيقي
الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس الا
العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السماء والارض وترتيب
الدنيا والاخرة وما يتعلق به ثم الحرية اعني الخلاص عن اسر الشهوات وعموم الدنيا
والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم
الغضب واما ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير
القران والفقه والاخبار ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول الهداية الى
معرفة الله كما قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهديهم

سبيلنا فهو من جهة انه وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية فيها لا بد منه
بالعرض واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ ليس له قدرة حقيقية
وانما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد
وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما حقق في موضعه نعم له
كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة
اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراكات فان هذه القوى
الة الوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة
بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم
يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية
التي تنقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد الموت اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان
تنقطع بالموت ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق كلهم في غمرة من الجهل
فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال
بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال فلما اعتقدوا
الكمال ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا
عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله ومن ملائكته وهو
العلم والحرية وهؤلاء الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف

عنهم العذاب

عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لا يفهمون قوله تعالى المال
والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا للنفس والمال
والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل
ما تذروه الرياح بالموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو
من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه
كمال وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو
جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي اعلم انه كما لا بد من ادنى
مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق
والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال
الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو من الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه
وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب
خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبه لان
يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته وكذا
حبه لان يكون له في قلب استاده من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه
والعناية به وكذا حبه لان يكون له من المحل في قلب سلطان ما يحثه

ذلك على دفع الشر عنه فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما
الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبين
بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره بيت ماء لانه يضطر
اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت
الماء فان هذا لا يوصف محبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على
مباشرة معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور
وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى المال والجاه بالعبادة
جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور واما ان
يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه
فلا ينزل به منزلته فهو مباح ايضا لان حفظا للستر على القبائح جائز
بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد
لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب
الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم
اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب   واما حب
المدح والثناء فله اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فان
النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر
نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير

لا يجازف

لا يجازف في القول ولهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعر بنقصان
نفسه والسبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح
وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب
والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته
وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ولهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم
به القلب والسبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد
قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتقد بثنائه
وهذا يختص بثناء يقع على الملا والسبب الرابع ان المدح يدل على حشمة
الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع
واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه الاسباب
قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال
بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد
ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه ويبقى لذة الاستيلاء
بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء   اعلم ان من غلب على
قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد
اليهم والمراءاة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته
عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل

في العبادات والمراءاة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص
القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حب الشرف
والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق
كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل
من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال
حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق وعلاجه العلمي ان يعلم ان السبب
الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم
ان صفى وسلم فآخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له
كل من على وجه الارض الى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا
لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها
ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا
ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة
ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على
العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون
الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون
الآخرة الى غيرها من الآيات فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه

بالعلم بالآفات

بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها
ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف
على الدوام على جاهه ومحترز من ان يتغير منزلته في القلوب والقلوب
اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما
يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال
بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال
عن الله وتعرض لمقته في العاجل والآجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة
للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة
فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي
ايمانه فلم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل
فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بالخمول والقناعة بالقبول من الخالق
والاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول فان المعتزل في بيته
في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب
بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت
لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه ونسبوه
الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار
من ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك

من قلوبهم الكذب والتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد حب الجاه والمنزلة ولا
يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع
الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن
ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول لئلا
قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او علة او قلة للاغترار بذلك وحب المدح
كحب الجاه حرية واباحة ونفعا وضرا وعلاجه علاج حب الجاه وعلمه بان
الصفة الممدوح بها ان فقدت فاستهزاء وان وجدت فالدنيوية
كمال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة وعلاج كراهة الذم العلم بان
الصفة المذموم بها ان وجد فتبصر العيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة
وان فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله تعالى والترحم عليه حيث
اهلك نفسه كما قال النبي صلعم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون لما ان كسروا
رباعيته والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهو محض عدو نفسه فينبغي
ان يحرم يفرح اذا سمع ذمها ويشكر الزام عليها ويعتقد فطنته و
ذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون
غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة
الجاه واذا سبقت اليه حسنات لم ينصب فيها عناء يكون خير العزيمة

الى هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الواحدة وهي ان
يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره
وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا ينقطع شيء
منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

في ذم الغرور وهو
سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة
من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة
فاسدة فهو مغرور قال الله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
وقال عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني
حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي صلعم حبذا نوم الاكياس وفطرهم
كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين
افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وآله وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني
ولنمثل للغرور مثالا للايضاح اما الغرور بالحيوة الدنيا فمثاله ما قال بعض
الكفار والعصاة النقد خير من النسيه والدنيا نقد والاخرة نسيه فاذن هي
خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات
الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس
ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء

الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان
بان يصدق الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق والاخرة خير
وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور واما البرهان وهو ان
يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه
اصلين احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيه وهذا صحيح والاخر ان
النقد خير من النسيه وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد
مثل النسيه في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيه خير
فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسيه ولا يقول النقد
خير من النسيه فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة
تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيه
والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة
والربح نسيه فان كان عشرا في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة
الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة واما قولهم ان اليقين خير من
الشك والدنيا يقين والاخرة شك فهو اكثر فسادا من الاول لان كلا
اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه
على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه

رتبة العلم على شك والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن
الشفاء على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي
اقتناصه الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء
في شك في الاخرة فيجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل
وهو منتهى العمر قليل بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان
ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وان كان صدقا
فابقى في النار ابدا الآباد وهذا لا يطاق واما الاصل الثاني وهو
ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين و
ليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق للانبياء والعلماء والثاني
الوحي والالهام للانبياء والاولياء اذ كشف لهم حقيقة الاشياء
كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد المحسوسات
بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد واما الغرور
بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله
معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله
من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وهذا قياس من اقيسة ابليس
وذلك لانهم ينظرون نعمة الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها

نعمة الآخرة وينظرون الى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب
الآخرة كما قال تعالى ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ومرة
ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم
فيقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقياسهم انه قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب
وكل محب فهو فانه يحسن في المستقبل ايضا والتلبيس تحت ظنه ان
كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد
اغتر بالله اذ يظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي
البصائر يدل على الهوان فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات
من الله تعالى وان الله يحمي عبده الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
فهو يحبه كما ورد في الخبر وهذا المغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة
والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما
اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ومنشا هذا الغرور الجهل بالله
وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات و
ينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض وكيف احسن الله اليهم

ابتداء

ابتداء ثم دمرهم تدميرا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ولا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون اعلم ان فرق المغترين كثيرة وجهات
غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد
المساجد ويزخرفها من مال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه
لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من
يترك الاهم ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم
من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همته في الصلوة مقصودة
على الوسواس في النية او تصحيح مخارج الحروف حتى تفوته الجماعة وتخرج
الصلوة عن الوقت ثم لا يحضر قلبه في صلوته ويزعم انه اذا اتعب نفسه في
تصحيح النية والحروف تميز عن العامة بهذا الجهل ومنهم من اغتر بقراءة القرآن
فيهذه هذا وربما يختم في اليوم والليلة مرة ولسانه يجري به وقلبه متردد
في اودية الاماني ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الدهر ولا يحفظ
لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير و
منهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون
وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب
والبدن ويتعرض لمكس الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام عنه ومنهم
من يتقلد امامة مسجد واذانه ويظن انه على خير ولو ام غيره او كان اذن في وقت

غيبة قامت عليه القيامة ولو كان اورع منه واعلم ومنهم من يامر بالخير
وينسى نفسه فاذا امر عنف وطلب الرياسة والعز واذا رد عليه اذا اتى بمنكر
منكرا غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وانما غرضه الرياسة
ومنهم من احكم العلوم الشرعية وتعمق فيها واشتغل بها واهمل تفقد
الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واهمل تفقد قلبه ليمحي
عنه الصفات المذمومة والاخلاق الردية واغتر بعلمه وظن انه عند الله
بمكان وانه قد بلغ من العلم مبلغا لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق شفاعته
وانه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله ومنهم من يعجب بنفسه ويظن انه
منفك عن الاخلاق المذمومة وانه ارفع عند الله من ان يبتليه بها وانما
يبتلي بها العوام ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف
قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله
وارغام انف المخالفين ومهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او في من رد
عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق
ورد على المبطل في عداوته وظلمه ثم لو طعن في غيره من اهل العلم لم يكن
غضبه مثل غضبه الان بل ربما يفرح به واذا خطر له خاطر الرياء قال
هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله
ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتدائهم به فلو كان

غرضه صلاح الخلق

غرضه صلاح الخلق لفرح لصلاح الخلق حصل على يد من كان وربما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان
ايضا بل يقول انما ذاك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فانما
فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته
ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين واعتقد
انه لا يكون للعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما
يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وصفاته منهم وانه لا ايمان
لمن يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعا كل فرقة منهم الى نفسه وفي الحديث
النبوي ما ضل قوم قط بعد هدى الا اوتوا الجدل وحرموا العمل ومنهم
من اشتغل بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات
القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر ونظايرها ويظن بنفسه انه اذا
تكلم بهذه الصفات ودعا الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله
الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين والاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق ومنهم من ظن ان حكم القاضي
بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق و
اسقاطها وتاولوا الالفاظ واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وذلك مثل فتواهم بان
المراة مهما ابرات الزوج من الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك
خطا بل الزوج قد يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق

فتضطر الى طلب الخلاص فتبرعه الزوج لتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقد
قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد
يريد ما لا يطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهه بها نفسه
وانما طيبة النفس ان تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله وكذلك لو طلب من انسان
مالا على ملاء من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سئله
في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس والسؤال في مظنة الحياء والرياء
ضرب المحصل للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله
فان الباطن عند الله ظاهر وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو
حرام عليه ومن المغترين قوم تسموا باهل الذكر والتصوف يدعون
البراءة من التصنع والتكلف يلبسون خرقا ويجلسون حلقا يخترعون الاذكار
ويتغنون بالاشعار يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل
ابتدعوا شهيقا ونهيقا واخترعوا رقصا وتصفيقا قد خاضوا الفتن
واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا الصيحة
ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود
والملازمة في عين الشهود ولا يعرف من هذه الامور الا الاسماء ولكنه تلقف
من الطامات كلمات يرددها لدعا الانبياء كانه يتكلم عن الوحي ويخبر
عن السماء ينظر الى اصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد

انهم اجرا

انهم اجراء متعبون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله لمحجوبون ويدعي
لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب لا علما احكم ولا عملا هذب
ياتي اليه الرعاع الهمج من كل فج اكثر من اتيانهم مكة للحج يزدحم عليه
الجمع ويلقون اليه السمع وربما يخرون له سجودا كانهم اتخذوه
معبودا يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه يأذن لهم في الشهوات
ويرخص لهم في الشبهات يأكل ويأكلون كما تأكل الانعام ولا يبالون
من حلال اصابوا ام من حرام وهو لحلوائهم هاضم ولدينه ودينهم
حاطم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير
علم الا ساء ما يزرون واما ارباب الاموال ففرقة منهم يحرصون
على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة
باموال كسبوها من غير حلها ويكتبون اسماءهم بالاجار عليها ليخلد ذكرهم
ويبقى بعد الموت اثرهم ويظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وانهم
مخلصون فيه ولو كلف احد منهم احدا ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه
على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم يسمح به نفسه والله تعالى
مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب ولولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله
لما افتقر الى ذلك وربما يكون في جوار احدهم او بلده فقير وصرف المال
اليه اهم من الصرف الى المساجد وزينتها ومنهم من ينفق الاموال في

الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة والفقراء
الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر ويرى
اخفاء الفقير لما اخذ منه جناية عليه وكفرانا ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه
بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام
النهار وقيام الليل وختم القرآن وهو يظن انه على خير ومنهم من لا تسمح نفسه
الا باداء الزكوة فقط ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه
ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد في حاجاته ويظن انه اداها الله
اصناف الغرور لا تحصى وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام المغرور في
الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك
حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما اغتررت
بمالك ونسلك واصابتك مأمولك وهواك فظننت انك صادق ومصيب
وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى
يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفا والله
يريد الاخلاص وربما افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات
ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما
حسبت انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما
ذممت نفسك وانت تمدحها في الحقيقة واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور

الغرور

والتمني الا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك
من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة
وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع
عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة في مكارم الاخلاق وتحصيلها
وفيها ستة ابواب في الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث
الهوى على الشان كالعبادة والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا وضده الجزع
والهلع وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وعن
من شهوة البطن والفرج عفة وضده الشره وفي الغضب ضبط النفس وضده
البطر وفي الحرب شجاعة وضده الجبن وفي كظم الغيظ حلم وضده الغضب و
في النوائب سعة الصدر وضده ضيق الصدر والضجر والتبرم وفي اخفاء
الامر كتمان وضده الاذاعة وفي فضول العيش زهد وضده الحرص ومدد
باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الهوى من الشياطين
الناصرين لاعداء الله فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتى قهر باعث
الهوى واستمر على مخالفته التحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلب
الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين وهذا الثبات انما يكون
بقوة المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الهوى عدوا قاطعا لطريق الله
وقد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وكرر ذكر الصبر في القرآن واضاف

اكثر الخيرات والدرجات اليه وجعلها ثمرا له فقال عز من قائل وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ووعد الصابرين بانه
معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم
واولئك هم المهتدون واستقصاء الايات في مقام الصبر يطول وقال النبي صلى الله عليه وآله
الصبر نصف الايمان وقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى
حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وقال الصبر كنز من
كنوز الجنة وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال الصبر من الايمان
بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال
امير المؤمنين ع بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل
وقال الباقر ع من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز وقال الجنة محفوفة بالمكاره
والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات
والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار وقال الصادق عليه السلم

ما يتيح الدين

من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل اجر الف شهيد وقال ان الله تعالى
انعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت
عليهم نعمة والاخبار في فضيلة الصبر اكثر من ان يحصى اعلم ان ما يلقى العبد
في هذه الحيوة لا يخرج من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر ما يكرهه وهو
محتاج الى الصبر في كل واحد منهما فهو اذن لا يستغنى قط من الصبر اما ما
يوافق هواه كالصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب
وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا فالصبر عليها اشد لانه
ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها
المباحة لها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها
الا الصديق وذلك لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر وا
الجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة
اللذيذة وقدر عليها واما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار
العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط كالمصائب والنوائب او لا يرتبط
اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه
فهي ثلثة اقسام الاول ما يرتبط باختياره وهو ساير افعاله التي توصف بكونها
طاعة او معصية اما الطاعة فالصبر عليها شديد لان النفس بطبعها

تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية كما سبق بيانه ثم من العبادات ما يكره
بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما
جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى
الصبر عليها في ثلثة احوال الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص
عن شوائب الرياء ودواعي الافات والثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله
في اثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على ذلك الى الفراغ
من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء و
من النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره واما المعاصي
فاشد انواع الصبر عنها الصبر عما كان مألوفا بالعادة فان العادة طبيعة
ثانية فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على
جند الله فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله
كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا الى غير ذلك واليسر من حركة
اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس الا ان يغلب على القلب هم اخر في
الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد واكثر جولان الخاطر انما يكون
في فائت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف
ما كان فهو تضييع زمان واله العبد قلبه فاذا اغفل القلب في نفس واحد

محمد ابن فهد

عن ذكر يستفيد به انسا بالله او فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد
بالمعرفة محبة لله فهو مغبون القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله
اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جنى عليه في نفسه او ماله
فالصبر على ذلك بترك المكافاة قال الله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال النبي صلى الله عليه
وآله صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك القسم الثالث ما لا
يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك
الاموال وزوال الصحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين
قال النبي ص اسئلك من اليقين ما يهون به علي مصائب الدنيا وقال صلى الله
عليه وآله وسلم ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امره الله انا لله وانا
اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله
ذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي
مصيبة في بدنه او في ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه
يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال ع الصبر ثلثة صبر عند
المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها

بحسن عزابها كتب الله له ثلثمائه درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين
السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين
الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ومن صبر على المعصية
كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى
منتهى العرش وعن الباقر ع الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وافضل
الصبرين الورع عن محارم الله ان قلت فبماذا ينال درجة الصبر
فى المصائب وليس الامر الى الاختيار فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به
ان لا يكون فى نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار فاعلم
انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة
فى الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة فى الملبس والمفرش والمطعم ونحوها
وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغى ان يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله
ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرجه
عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع فان كان ذلك
مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد
النبى ص فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما
يرحم الله من عباده الرحماء وقال ايضا العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط
الرب بل ذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم على الفصد والحجامة

راض

راض به وهو متالم بسببه لا محالة نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر
وساير المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة
وعن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ص قال الله تعالى من مرضته ثلثا فلم يشك
الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان عافيته عافيته
ولا ذنب له وان قبضته قبضته الى رحمتى وفى معناه اخبار اخر وفى بعضها
فسر التبديل بخير ان يبدله لحما ودما وبشرة لم يذنب فيها وفسر الشكاية بان
يقول ابتليت بما لم يبتل به احد واصابنى ما لم يصب احد وقال وليس الشكوى
ان يقول سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا وعن الصادق ع من اشتكى
ليلة فقبلها بقبولها وادى الى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة سئل
ما قبولها قال يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على ما كان وسئل
الباقر ع عن الصبر الجميل فقال ذاك صبر ليس فيه شكوى الى الناس وعن النبى صلى الله عليه وآله
من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك واما
الشكاية الى الله تعالى وسؤاله الرفع فحسن قال يعقوب انما اشكو بثى وحزنى
الى الله الطريق الى تحصيل الصبر تقوية باعث الدين وتضعيف باعث
الهوى بالمجاهدة والرياضة وذكر قلة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع
وقبحه وان يكثر فكرته فيما ورد فى فضل الصبر وفى حسن عواقبه فى الدنيا
والاخرة وان يعلم ان الثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب

ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة الدنيا وحصل
له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا فى نفيس فلا ينبغى ان يحزن
لفوات الخسيس فى الحال وان يعود هذا الباعث مصارعة الهوى تدريجا
حتى يدرك لذة الظفر بها فيتجرى عليها ويقوى منه فى مصارعتها فان الاعتياد
والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التى تصدر منها تلك الاعمال
ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما اراد ثم ان كان ذلك بنعت
قوى فيصبر وان كان يسير فصبر وان كان ذا جهد فرضا وان كان بتلذذ فشكر
وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله تعالى وعدم التمييز بين الالم
واللذة فى الرضا والشكر اما الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط
قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وعن النبى ص انه سأل طائفة
من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند
البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة
وفى خبر اخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وعن السجاد
عليه السلام الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضى عن الله
فيما قضى عليه فيما احب او كره لم يقض الله فيما احب او كره الا ما هو خير له وعن
الباقر ع احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله من عرف الله ومن رضى بالقضاء
اتى عليه القضاء وعظم الله اجره وعن الصادق ع اعلم الناس بالله ارضاهم

بقضاء

بقضاء الله وعنه عليه السلام ان فيما اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران
ما خلقت خلقا احب الى من عبدى المؤمن وانى انما ابتليته لما
هو خير له وازوى عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدى فليصبر على
بلائى وليشكر نعمائى وليرض بقضائى اكتبه فى الصديقين عندى اذا عمل
برضائى واطاع امرى وعن الكاظم ع ينبغى لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه
فى رزقه ولا يتهمه فى قضائه وفائدة الرضا فى الحال فراغ القلب للعبادة
والراحة من الهموم وفى المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال سبحانه
من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليطلب ربا سوائى والطريق الى تحصيله
ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه فهو اصلح بحاله وان لم يبلغ علمه سره ولا
مدخل للهم فيه ولا يتبدل القضاء به فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن
وحسرة الماضى وتدبير الآتى يذهبان ببركة الوقت بلا فائدة ويبقى تبعة السخط
عليه بل ينبغى ان يدهشه الحب عن الاحساس بالالم كما للعاشق والمريض
وان يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كما للمريض والتاجر المتحمل
شدة الحجامة والسفر فيفوض امره الى الله ان الله بصير بالعباد وقال الصادق ع
لم يكن رسول الله ص يقول لشئ مضى لو كان غيره اعلم ان من قال
ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر واما الرضا فلا يتصور
فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم

بهٖ فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين
احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به و
تصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه
او حال خوفه قد تصيبه جراحة ولا يحس بها فاذا رأى الدم استدل به على
الجراحة بل الذي يعدو في شغل قد تصيبه شوكة في قدمه
ولا يحس بالمه لشغل قلبه وذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور
مستوفى به لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة
معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك
غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا
اصابه من حبيبه وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال غيره فمن يكشف
له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحس بما يجري عليه
واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا
فيه مريدا له بعقله وان كان كارها له بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد
والحجامة فانه يدرك الالم الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد منه المنة فهذه
حالة الرضا بما يجري عليه من الالم ومهما اصابته بلية من الله عز وجل
وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه
واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه

ويجوز

ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحبوب في مراد حبيبه ورضاه
لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل
ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون
في نظمهم ونثرهم وقد روينا ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء
الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى
وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القران ما هو ابلغ من ذلك
وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك
ويروى ان عيسى على نبينا وعليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب
الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي مما ابتلى
به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا
عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته
فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم
هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه
واعلم ان الدعاء غير مناقض للرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها
وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر و
قد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور
والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة

من اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت ادعية الانبياء و
عليهم السلام وكانوا في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على بعض عباده
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وقال ادعوني استجب لكم واما انكار المعاصي
وكراهتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها فقال وا
رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله
وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكه في
قتله واما بغض الكفار والفجار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه
من شواهد القران والاخبار لا يحصى وقد وردا وثق عرى الايمان الحب
في الله والبغض في الله فان قلت فقد وردت الايات والاخبار بالرضا
بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في التوحيد
وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل
الى الجمع بينهما وهو تناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرضا و
الكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين
عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على
المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل
نقول الرضا والكراهة متضادان اذا تواردا على شيء واحد على وجه واحد

وليس من

وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه
اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه
فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك
وكذلك المعصية لها وجهان الى الله عز وجل من حيث انه فعله واختياره
وارادته فيرضى من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله
فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا
عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من
هذا الوجه منكر ومذموم ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه
ونظائر ذلك لا تحصى فواجب على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله
ويمقت من مقته وان اضطر بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته موافقة
للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يجمع بين
ما ورد من الحب في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله وهذا يستمد
من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير داخلان في المشية
والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به وكشف الغطاء عنه
غير ماذون فيه فالاولى السكوت عنه والتادب بادب الشرع فقد ظهر الغرض
من غير حاجة الى الكشف السر فيه   اما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم
والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة

في طاعته اما المعرفة فبان تعرف ان النعم كلها من الله وانه هو المنعم والوسائط
مسخرون من جهته وانما الذي انعم عليك هو الذي سخرهم لك والقى
في قلوبهم الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين الى الايصال
اليك فمن عرف ذلك كانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب واما
الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو ايضا في نفسه شكر على حدة
كما ان المعرفة شكر فان كان فرحك بالمنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن
حيث انه تقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره فهو الرتبة
العليا في الشكر وامارته ان لا تفرح بالدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة
ومعينة عليها وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله
وهذا ايضا شكر بالقلب واما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة
المنعم فهو القيام بمقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق بالقلب واللسان
والجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان
فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في
طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان من شكر العينين
ان تستر كل عيب تراه بمسلم ومن شكر الاذنين ان تستر كل
عيب تسمعه لمسلم فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء
بل نقول ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس ايضا اذ الابصار انما
يتم بهما

يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما
ما يضره فيهما بل نقول المراد من خلق الارض والسماء وخلق الدنيا واسبابها
ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته
والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا
محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر
الا ببقاء البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك
الا بخلق الارض والسماء وخلق ساير الاعضاء وكل ذلك لاجل البدن
والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي المطمئنة بطول العبادة
والمعرفة فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع
الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وعن
الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الطاعم الشاكر
له من الاجر كاجر الصائم المحتسب والمعافى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم
القانع وعنه عليه السلام قال من اعطي الشكر اعطي الزيادة قال الله تعالى لئن
شكرتم لازيدنكم وعنه عليه السلام قال ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها
بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد وعن الباقر
عليه السلام قال كان رسول الله ص عند عايشة ليلتها فقالت يا رسول الله

لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا عايشة
الا اكون عبدا شكورا قال وكان رسول الله ص يقوم على اصابع رجليه
فانزل الله سبحانه طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وعن الصادق عليه السلام شكر
النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل
هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكرا قال نعم قيل ما هو قال يحمد الله على كل
نعمة عليه في اهل ومال وان كان فيما انعم عليه في ماله حق اداه ومنه
قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومنه قوله رب انزلني
منزلا مباركا وانت خير المنزلين وقوله رب ادخلني مدخل صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا وعنه عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله
عليه واله اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد
عليه امر يغتم به قال الحمد لله على كل حال وعن الباقر عليه السلام قال اذا
ذكر احدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكرا لله فان كان راكبا فلينزل
وليضع خده على التراب وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده
على قربوسه فان لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما انعم عليه
انه لا يبلغ احد حقيقة الشكر الا بان يعلم ان النعم كلها من الله
وان الشكر عليها ايضا نعمة من الله يحتاج الى شكر اخر وهكذا قال الصادق عليه السلام
اوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب
وكيف اشكرك

وكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي
قال يا موسى الان شكرتني حيث علمت ان ذلك مني وعن السجاد عليه السلام
قال اذا قرأ هذه الاية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يقول سبحان
من لم يجعل في احد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل
في احد من معرفة ادراكه اكثر من العلم بانه لا يدركه فشكر تعالى معرفة
العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكرا كما علم
علم العالمين انهم لا يدركونه فجعله ايمانا علما منه انه قد وسع العباد
فلا يتجاوز ذلك فان شيئا من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى
عبادته من لا مدى له ولا كيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن الصادق
عليه السلام قال اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت
بي من نعمة او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك
الشكر بها علي يا رب حتى ترضى وبعد الرضا فانك اذا قلت ذلك كنت قد
اديت شكر ما انعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وفي رواية
كان نوح يقول ذلك اذا اصبح فسمي بذلك عبدا شكورا وعنه عليه السلام
مكتوب في التورية اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال
للنعماء اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت الشكر زيادة في النعم وامان من
الغير يعني من تغير الحال وانتقالها من الصلاح الى الفساد وعن السجاد

قال ان الله تعالى يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور يقول الله تعالى
لعبد من عبيده يوم القيمة اشكرت فلانا فيقول بل شكرتك يا رب فيقول
لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم لله اشكركم للناس
اعلم ان النعم دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية وصرف المفاسد
والمضار واما دينية كالاسلام ومعرفة الائمة المعصومين عليهم السلام
والتوفيق على الطاعة والعصمة عن المعصية والدينية اعظم لايصالها
الى السعادة الابدية والانجاء من الشقاوة السرمدية واشتراك الكفار في
الدنيوية واغتنام الابرار زوال ما لا يهمهم منها قال الكاظم ع من حمد الله على
النعمة فقد شكره والحمد افضل من تلك النعمة والطريق الى تحصيل الشكر
المعرفة والتفكر في صنايعه تعالى والنظر الى الادنى في الدنيا والى الاعلى
في الدين ويشكر في المصايب على ان لا يصيبه اكبر منها وان لا تكون في الدين
وان تعجل عقوبته ولا تؤخر للاخرة وانها كانت اتية ففرغ منها وان ثوابها
خير له وانها تنقص من القلب حب الدنيا فهي في التحقيق نعم اذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة
او رياضة النفس او رفع الدرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء
فعن النبي ص انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة
وكان يقول هو والانبياء والاوصياء عليهم السلام ربنا اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء قال

قال رسول

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوا العافية فمن اعطى عبدا افضل
من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك
فان عافية القلب اعلى من عافية البدن   في الرجاء والخوف اما الرجاء
فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فان حصل اكثر اسبابه فالاصدق اسم الرجاء
كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض صالحة يصلها الماء وان فقد فالغرور
والحماقة كالواقع في غير صالحة لا يصلها الماء وان شك فيهما فالتمني كما اذا
صلحت الارض ولا ماء وذلك لان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان
كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار
وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة
التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع
ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث الخلق وسوء
اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة
برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا ثم امده
بما يحتاج اليه من تنقية الارض مما يمنع نبات البذر او يفسده
وسوق الماء اليه في اوقاته ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الآفات
المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان
بث البذر في ارض سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر

اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر
في ارض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار
ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على
انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختياره وهو فضل الله
تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان بماء الطاعات
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على
ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا
محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب
المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب
مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره
حمق وغرور قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله وقال عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال النبي ص الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله وقيل للصادق
عليه السلام ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا
ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجا شيئا عمل له ومن
خاف شيئا هرب منه وقال عليه السلام لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا

راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو فاذن العبد
المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة
وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط
من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة
وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها
فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهة المعصية وحرصه على
الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد
الاسباب   واما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب
توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر اسباب المكروه تكون قوة الخوف
وشدة تألم القلب وبحسب ضعف الاسباب يضعف الخوف والخوف
من الله تارة يكون بمعرفة الله وبمعرفة صفاته وتارة يكون لكثرة الجناية
من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بجلال الله
تعالى وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته تكون قوة خوفه
فان اخوف الناس لربه اعرفهم بربه وبنفسه ولذلك قال النبي ص انا اخوفكم
لله وقال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء ثم بعد كمال المعرفة
يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في
البدن فبالنحول والصفار والبكاء واما في الجوارح فبكفها عن المعاصي

وتبديلها بالطاعات تلافيا للماضي واستعدادا للمستقبل ولذا قيل
ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من ترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال
حكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه واما في الصفات فهو ان
يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير
العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات
بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة
ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر
عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة
والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات فيكون
ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه
الخوف واستولى عليه واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع
من المحظورات ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت
قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم ويسمى ذلك تقوى وقد يحمله
على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا
انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله و
لا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه
فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى

وفي التقوى

وفي التقوى الورع وفي الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى
الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام
اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه
والحب يغلب بالرجاء ولذا ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما وقت الموت
قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فحرم اصل الياس وقال ان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وعير الله قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال
ظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي يقول الله عز وجل انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وقال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله ودخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك قال اجدني
اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في
هذا المواطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وقال امير المؤمنين عليه السلام
لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا ياسك من رحمة الله اعظم
من ذنوبك وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك
وبين يوسف لقولك اني اخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم
خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وعن
الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ص قال الله تعالى لا يتكل العاملون على اعمالهم

التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم اعمارهم في عبادتي
كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي
من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن
برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند
ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله
الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعنه عليه السلام قال وجدنا في كتاب علي
عليه السلام ان رسول الله ص قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما
اعطي مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن
خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا اله الا هو لا يعذب الله
مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصير من رجائه
وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن
بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان
يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله
الظن وارغبوا اليه قال الصادق حسن الظن بالله ان لا ترجو الا الله
ولا تخاف الا ذنبك والطريق الى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله سبحانه
من دون شفيع وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق وما انعم عليه
بمد في الدارين من دون سؤال وسعة الرحمة وسبقها الغضب والاخبار

الواردة في

الواردة في سعة رحمته سبحانه اكثر من ان تحصى ولا حاجة بنا الى ذكرها
لان المحتاج الى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف والياس وقليل ما هم
واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغرورون بما هم فيه من الفساد والحوب
كاكثر ابناء زماننا فلا يزداد بسماعهم لها الا طغيانهم تماديا وفي فسادهم ضلالا
اعلم ان الرجاء محمود الى حد فان تجاوز الى الامن فهو خسر ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون وكذا الخوف محمود الى حد فان جاوز الى القنوط فهو ضلال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى الياس فهو كفر ولا يياس من
روح الله الا القوم الكافرون والاصلح ان يعتدلا قال امير المؤمنين عليه السلام
لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها
منك وارج الله رجاء كانه لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك وعن الباقر
ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم
يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون
ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا واما غلبة الرجاء في غالب الناس
فسببه الاغترار وقلة المعرفة بل الاصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة
الخوف واما عند الموت فالاصلح لهم غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف
جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق
هناك اسباب الخوف لانها تقطع نياط قلبه وتعين على تعجيل موته واما

روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان
لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقائه فان من احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه
اشتدت محنته وعذابه مهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل
والولد والمسكن والرفقاء والاصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدنيا
جنته فكان موته خروجا من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا
اذا لم يكن محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها
شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه وموته قدوم على محبوبه وخلاص له
من السجن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله   اعلم ان الخوف من الله تعالى
على ضربين احدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل
الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وضعفه
بسبب ضعف الايمان وانما يزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر
في اهوال القيمة واصناف العذاب في الاخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين
ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تاثير
واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف البعد والحجاب
منه ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته
ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله

والخوف

واتقوا الله حق تقاته قال الله سبحانه انما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال النبي ص راس الحكمة مخافة الله وفي
الدعاء المنسوب الى السجاد سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الصادق ع
لمن عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا وقال من العبادة
شدة خوف من الله يقول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى فلا تخشوا
الناس واخشوني وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ان حب الشرف والذكر
لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري
ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا
خائفا ولا يصلحه الا الخوف وقال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا
ولا يكون خائفا ولا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو وقال لاسحق بن عمار
خف الله كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد
كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون
الناظرين اليك وقال من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله
اخافه الله من كل شيء وعن النبي صلى الله عليه وآله ما من مؤمن يخرج من عينيه
دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه
الا حرمه الله على النار وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه
خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها وروى الصدوق في عرض المجالس عن ليث بن

ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينا رسول الله ص مستظل بظل
شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي
ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم
مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم
اقبل فاومى اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه فقال له يا عبد الله
لقد رايتك صنعت شيئا ما رايت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما
صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله وقلت لنفسي يا نفس ذوقي
فما عند الله اعظم مما صنعت بك فقال النبي ص لقد خفت ربك حق مخافته
وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا
من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على
الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا وحديث بهلول النباش مشهور
وفي الكتاب المذكور مذكور وعن الباقر عليه السلام قال صلى امير المؤمنين
بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم
قال اما والله لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله ص وانهم ليصبحون
ويمسون شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا
وقياما يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم
من النار والله لقد رايتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون وفي رواية اخرى

كاد زفير النار في اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم
باتوا غافلين قال ثم قال فما رئي ضاحكا حتى قبض عليه السلام واما خوف الملائكة
والانبياء والاولياء وائمة الهدى كخوف الميكائيل وجبرئيل ويحيى وابرهيم الخليل
وداود ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم ذكره المحدثون في كتبهم ظاهر جلي
البهاء من اراده فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره   اعلم ان الخوف
لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار و
اما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما تكره المعاصي لادائها الى المكروه
في الاخرة ولا بد لكل خائف من ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين و
يقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام
الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة اما الخائفون
ما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته فمنهم من يغلب عليه خوف
الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف ضعف القوة عن الوفاء
بتمام حقوق الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف
الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة
او خوف ان يكله الله تعالى الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله
او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف
الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوايل طاعته حتى يبدو له من الله

ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش
واضمار السوء او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة
في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف اطلاع الله
على سريرته في حال غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء
او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل
منها خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن يخاف استيلاء
العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على
سريرته يشتغل بتطهير قلبه من الوسواس وهكذا الى بقية الاقسام الأُخر
واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام
وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة تتفرع
منها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب
واليه الاشارة بما رواه الصادق عليه السلام قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله
الناس ثم رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون ايها الناس ما في كفي
قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم الى
يوم القيمة ثم رفع يده الشمال فقال ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله
ورسوله اعلم فقال اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم الى يوم القيمة
ثم قال حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السعير ومنه

ومنه عليه السلام قال ان الرجل ليعمل بعمل السعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس
ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق
السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من
كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة واما
الخائفون مما يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته فمنهم من يغلب خوف سكرات
الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة
الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير
او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها
واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان
الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله وهو اعلاها رتبة وهو خوف العارفين
وما قبله خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين ولا يخفى ان فضيلة
الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول اليها
الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل
المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة
على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك
لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا
تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق

من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيناه   اعلم ان لسوء الخاتمة اسبابا
مختلفة ويرجع الى ثلاثة اما السبب الاول وهو الاعظم فهو ان يغلب على القلب
عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في تلك
الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب
المخلد وسبب ذلك ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف الحق
اما برايه ومعقوله واما بالتقليد فينكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده
جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل
سببا لبطلان بقية اعتقاداته او الشك فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه
الحالة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه
على الشرك قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال الله تعالى هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين آمنوا بالله و
رسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا ولذلك ورد ان اكثر اهل الجنة البله و
ورد المنع من البحث والنظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع
مع اعتقاد نفي التشبيه وذلك لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم
عقباته عظيم لكوده ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة

وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما
ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي
اليها في مبدإ النشو الفطري متعلقة وبالتعصبات الثائرة بين الخلق متشابهة
مؤكدة للعقائد الموروثة او المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع
بحب الدنيا مشعوفة وعليها مقبلة وبشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر
صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والعقول مع تفاوت
الناس في قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي
الكمال او الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع لكل منهم وتعلق
ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسدت بالكلية
طريق الخلاص منهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة
ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم الا من فهمه الله في الدين وعلمه التأويل
واشرق نور الحكمة في قلبه وذلك هو الكبريت الاحمر واما السبب الثاني فهو
ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف
الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع
لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول
عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم
القلب ويقسو ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه

من نور الايمان حتى يصير طبعا ودينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد حب الله
ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتألم
القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله
من الموت فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب فان اتفق زهوق
روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في
قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا
الخطر ولا يحب الله الا من عرفه قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره واما السبب الثالث
فكثرة المعاصي وان قوي الايمان وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات
ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود
ذكره الى قلبه عند موته فان ميله الاكثر الى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر
المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من
المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة
بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر وذلك لانه كما ان الانسان يرى في منامه جملة
من الاحوال التي عهدها طول عمره فيها حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته
في اليقظة فكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية

فانه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب
فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه
اليها فربما يقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان اصل الايمان باقيا
ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له
الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب
فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير
وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فان المرء يموت
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر ولذلك نقل عن بقال
انه كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة وكان
مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت وانما المخوف عند الموت
خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلعم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة
خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق
به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي
تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف فلهذا اعظم خوف العارفين من سوء
الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين
واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح و
المواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط

وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة وقد عرفت
بهذا ان اعمال المرء كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح
وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ومن هنا قيل لا اعجب ممن
هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولاجل هذا الخطر العظيم كانت
الشهادة مغبوطا عليها وموت الفجاءة مكروها اما موت الفجاءة فلانه ربما
يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب واما الشهادة فلانها
عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب
الدنيا والاهل والمال والولد اذ لا يهجم على صف القتال الا موطنا نفسه على
الموت الا حبا لله وطالبا لمرضاته وبايعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي
بايعه الله به اذ قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الاية في المحبة والانس اعلم ان المحبة هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعدها مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها
كالشوق والانس ولا قبلها مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد
وسائر المقامات وان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها فاما
محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض اهل العلم امكانها وقال لا
معنى لها الا المواظبة على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس
والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم

الحب وتوابعه مع ان ما في القران والحديث وحكايات المحبين ما هو نص
على ثبوت حقيقة المحبة ولوازمها لله عز وجل قوله يحبهم ويحبونه وقوله والذين
امنوا اشد حبا لله وقوله قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم
من الله ورسوله الاية وقال النبي صلعم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وقال في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني
الى حبك احب الي من الماء البارد وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عم قال لملك الموت اذ
جاءه لقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا
يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وفي مناجاة يا موسى بن عمران
كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها
انا ذا يا ابن عمران مطلع على احبائي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الي من قلوبهم و
مثلت عقوبتي بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور يا ابن عمران
هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينيك الدموع في ظلم الليل
فانك تجدني قريبا وروينا ان عيسى عم مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم
فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف
ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا
الشوق الى الجنة قال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم
اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا

حب الله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون وفي علل الشرائع عن نبينا ص
ان شعيبا عليه السلام بكى من حب الله عز وجل حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى
حتى عمي فرد الله عليه بصره فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه يا شعيب الى متى يكون
هذا ابدا منك ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك وان يكن شوقا الى الجنة فقد
ابحتك فقال الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا الى
جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك فاوحى الله عز وجل اما اذا
كان هذا هكذا فمن اجل هذا ساخدمك كليمي موسى بن عمران وقال امير المؤمنين ع في بعض
ادعيته فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على
على حر نارك فراقك وعن ابنه الحسين سيد الشهداء في دعائه يوم عرفة انت
الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك
وقال يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين وفي المناجاة
الانجيلية المنسوبة الى السجاد عليه السلام وعزتك لقد احببتك محبة استقرت
في قلبي حلاوتها وانست نفسي ببشارتها ومحال في عدل اقضيتك ان تسد
اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك وفي مناجاة الاخرى الهي فاجعلنا من
الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم واخذت لوعة محبتك
بمجامع قلوبهم قال والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار اليك يسارعون وبابك على
الدوام يطرقون واياك في الليل والنهار يعبدون وهم من هيبتك مشفقون

الذين صفت

الذين صفت لهم المشارب وبلغتهم الرغائب قال وملأت ضمائرهم من حبك
ورويتهم من صافي شرابك وبك فبك الى لذيذ مناجاتك وصلوا ومنك على
اقصى مقاصدهم حصلوا ثم قال فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت نحوك
رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك
قرة عيني ووصلك منى نفسي واليك شوقي وفي محبتك ولهي والى هواك صبابتي
ورضاك بغيتي ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبتي وقربك غاية سؤلي وفي
مناجاتك روحي وراحتي وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي
وكشف كربتي ثم قال ولا تقطعني عنك ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي
ويا دنياي واخرتي وقال ايضا الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك
بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته
لقربك وولايتك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك ورضيته
بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك
وقلاك ثم قال وهيمت قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك واخليت وجهه
لك وفرغت فؤاده لحبك ثم قال اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليك وا
الحنين ودهرهم الزفرة والانين وجباههم ساجدة لعظمتك ودموعهم
سائلة من خشيتك وقلوبهم معلقة بمحبتك وافئدتهم منخلعة من هيبتك
يا من انوار قدسه لابصار محبيه رائقة وسبحات نور وجهه لقلوب عارفيه

شائقة يا منى قلوب المشتاقين ويا غاية امال المحبين اسألك حبك
وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل الى قربك وان تجعلك احب الي مما
سواك وقال ايضا الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما
احلى المسير اليك في مسالك الغيوب وما اطيب طعم حبك وما اعذب شرب
قربك قال ع وعلتي لا يبردها الا وصلك ولوعتي لا يطفئها الا لقاؤك وشوقي
اليك لا يبله الا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك و
لهفتي لا يردها الا روحك وسقمي لا يشفيه الا طبك وغمي لا يزيله الا
قربك وجرحي لا يبرئه الا صفحك ورين قلبي لا يجلوه الا عفوك ووسواس
صدري لا يزيحه الا امرك وامثال هذا في ادعيتهم اكثر من ان يحصى وعن
امير المؤمنين عليه السلام ان لله تعالى شرابا لاوليائه اذا شربوا سكروا
واذا سكروا طربوا واذا طربوا طابوا واذا طابوا ذابوا واذا ذابوا
خلصوا واذا خلصوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا واذا وجدوا وصلوا واذا
وصلوا اتصلوا واذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم اعلم
ان الحب عبارة عن الميل الى الشيء الملذ وانما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء
وادراكه اما بالحواس او بالقلب وكلما كان المعرفة به اقوى والادراك اشد
واكثر كان الحب اقوى والبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد
ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة

للابصار

للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة
الالهية التي تجل ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم
والعقل الصحيح اليه اقوى فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور
في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه بالحواس وكما ان الانسان يحب نفسه
وكمال نفسه وبقاء نفسه ويحب غيره لاجل نفسه وكمال نفسه وبقاء
نفسه فكذلك قد يحب غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته بل تكون ذاته
عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق به وذلك كحب الجمال
والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين
الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظنن ان حب الصورة الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان
قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال
ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري
محبوبان لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري و
الطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار
المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه
الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر ثم الحسن والجمال ليس مقصورا

على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة اذ يقال هذا صورة حسن وهذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذا سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر وليس الجمال والحسن مقصورا على مدركات الحواس بل اكثر من جلائل الحسن يدرك بنور البصيرة الباطنة واية ذلك ان الطباع السليمة قاضية بحب على حب الانبياء والائمة عليهم السلام مع انهم لم يشاهدوهم حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه و متبوعه وجملة خلال الخير ترجع الى العلم والقدرة وهما محبوبان بالطبع وغير مدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء وعليا عليه السلام بالشجاعة احبتهما القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهما ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة ثم كل محب اما ان يحب نفسه او يحب غيره ومحبة الغير اما لحسنه وجماله او لاحسانه وكماله او للمجانسة بينه وبين المحب اما محبة النفس فهي اشد واقوى لان المحبة انما يكون بقدر الملايمة والمعرفة ولا شيء اشد ملايمة لاحد من نفسه مع ان معرفته به ووجود كل احد فرع لوجود ربه وظل له فمحبة نفسه ترجع الى محبة ربه وان لم يشعر المحب به واما محبة الغير لحسنه وجماله او لقربه من الله

وكماله

وكماله فذلك لان الجمال محبوب لذاته سواء الجمال الظاهر الصوري والباطني المعنوي وكذا الكمال والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته وكل مليح حسنه من جماله وكل كامل فكماله فرع كماله فما احب احد غير جماله ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الاحباب واستار الاسباب وكذا الكلام في محبة الغير لاحسانه فان الاحسان ايضا محبوب لذاته سواء كان متعديا الى المحب ام لا ولا احسان الا من الله ولا محسن سوى الله جل شانه فانه خالق الاحسان وذويه وجاعل اسبابه ودواعيه وكل محسن فهو حسنة من حسنات قدرته وحسن نعمه او قطرة من بحار كماله وافضاله واما محبة الغير للمجانسة فذلك لان الجنس يميل الى الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما ان الصبي يميل الى الصبي لصباه او لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جماله ولا طمع في جاه او مال فان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع الى محبة الله كما عرفت فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله الا انه لا يعرف ذلك الا اولياؤه واحباؤه كما اشار اليه سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة بقوله وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت لهم منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات

العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اعلم ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة وذلك لان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به قوام فلا جرم هي لذتها في نيل الغذاء وهكذا سائر الغرائز وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم والعلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل من خالق الاشياء كلها ومكملها ومربيها ومبدعها

ومبد

ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة بالله اقوى من سائر اللذات لمن له غريزة المعرفة ثم من عرف الله عرف ان اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قيل كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي اعلم انه لا فرق في الرؤية بين الدنيا والاخرة فكما لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر فكذلك لا يجوز رؤيته في الاخرة بالقلب والبصيرة لاهل البصائر اعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتأدى الى المشاهدة واللقاء لكن لا يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى والحجاب بينه وبين خلقه ليس الا الجهل وقلة المعرفة دون الجسد فان اولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع احوالهم ومنصرفاتهم ليلهم ونهارهم كما قال الله تعالى والشهداء عند ربهم وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وقال الا من شهد بالحق وهم يعلمون فسماهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع احوالهم كما ذكر بقوله عز وجل وايمانا تولوا فثم وجه الله وقال هو الاول والاخر والظاهر والباطن فوصفه بالظاهر وقال ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم فلا تحقق اولياء الله بمعاني هذه الايات شاهدوه باعين قلوبهم سئل امير المؤمنين عليه السلام هل رأيت ربك

حين عبده فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قيل وكيف رايته قال ويلك
لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان
وقال ابنه الحسين سيد الشهداء عليه السلام كيف يستدل عليك بما هو في
في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك
متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي
توصل اليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم
تجعل له من حبك نصيبا وقال ايضا تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وقال تعرفت
الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء الى غير ذلك
مما ورد عنهم عليهم السلام في هذا المعنى نعم يمكن ان يزيد الانكشاف في الاخرة
بقدر زيادة صفاء القلب وذكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية وروى
شيخنا الصدوق طاب ثراه باسناده عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام
قال قلت له اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم وقد راوه
قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة
ثم قال وان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا
قال ابو بصير فقلت له جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا احدثت
به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية
بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون اراد عليه السلام

المشبهين و

بالمشبهين والملحدين اصحاب التشبيه والعدوى فانهم يزعمون ان الله
سبحانه يجوز رؤيته بهذا العين في الاخرة وان لم يجز في الدنيا وان المؤمنين
يرونه يوم القيمة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر وقد سئل الصادق عليه السلام
عما يروون من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي و
والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا
من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر فان كانوا صادقين فليملؤا
اعينهم من الشمس ليس دونها سحاب   اعلم ان الطريق الى تحصيل المحبة
وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها وذلك بتطهير القلب
من شواغل الدنيا وعلائقها والتبتل الى الله بالذكر والفكر ثم اخراج حب غير الله
منه فان القلب مثل الاناء الذي لا يسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى
غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله
الا ان يكون التفاته الى الغير من حيث انه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر
اسماء الله والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وذلك
انما يكون بغلبة الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والتوق
الى ما بقي من المطلوب مما لم يحصل فان الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه
ولم يدرك من وجه وهو انما يكون باحد الامرين ولا نهاية له لان الانفتاح

فيما حصل لا نهاية له بالنسبة الى ما بقي من جلال الله وجماله لا ساحل
له بل مع حصول اصل الوصال يحصل ايضا شوق الى المزيد لا يطلعه فيه الم الشوق
لا يسكن قط ولا سيما ممن يرى فوقه درجات كثيرة يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقادا ولا يأنس حميما
ولا يأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا
راجيا ان يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبرا عما في سريرته
كما اخبر الله عن موسى بن عمران في ميعاد ربه بقوله وعجلت اليك رب لترضى
وفسر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك
في ذهابه ومجيئه اربعين يوما شوقا الى ربه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر
على نفسك ومرادك من الدنيا وودع المألوفات واحرم عن سوى مشوقك
ولب بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك وعظم الله اجرك ومثل
المشتاق مثل الغريق ليس له همة الا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه والاخبار
في شوقهم الى لقاء الله تعالى اكثر من ان تحصى وقد مضت الاشارة الى بعضها في
ادعية المعصومين عليهم السلام   اعلم ان الانسان اذا غلب عليه التطلع
من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه
الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة

في الانزعاج

في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح
بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا
على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدرك بعد استبشر
القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز
والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا
الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان
غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال
عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته الا في الانفراد
والخلوة وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق
من الخلوة يكون اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى على نبينا وعليه السلام
لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الخلق الا اخذه الغشيان لان
الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة
ما سواه فان خالط الناس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر
وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالجسد منفرد
بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر قال امير المؤمنين عليه السلام في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم
على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون
وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة

بالمحل الاعلى واولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه   اعلم ان
الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف
خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال
والمناجاة مع الله سبحانه وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجرأة
وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه
بهم في الفعل والكلام هلك واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود
الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقي لبني اسرائيل
بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى في سبعين الفا فاوحى الله تعالى
اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني
على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج
حتى استجيب له فسأل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في
طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد
عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال ما اسمك قال اسمي
برخ قال فانت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من
فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت
الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت
غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع

ام

ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر
وانبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله
موسى فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى
به فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات واعلم ان الانبساط
والادلال يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس قول موسى
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل عن الامر
لما قيل له اذهب الى فرعون انه طغى فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون
وقوله ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من
غير موسى من سوء الادب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل
ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن
الحوت في ظلمات ثلث فنودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم ونهي نبينا صلى الله عليه وآله ان يقتدي به فقيل له
واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات
بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل
والتفاوت في القسمة بين العباد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى على نبينا
وعليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال و

ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف
في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فانه اقيم مقام الهيبة والحيا فلم ينطق
حتى سلم عليه خالقه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
ويوم يبعث حيا وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد
قال بعض العلماء قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب
الى ابينا الى راس العشرين اية من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا واربعين
خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع
فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير مسألة واحدة سأل عنها
في القدر حتى قيل لان عاد محي اسمه عن ديوان النبوة وهذا القصص اورد
في القرآن ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن
شيء الا وهو هدى ونور تعرف من الله تعالى الى خلقه   واما
محبة الله سبحانه لعبده فمرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه
بقلبه والى تمكينه اياه من القرب اليه والى ارادته ذلك به في الازل والى
تطهير باطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه
حتى لا يسمع الا بالحق ومن الحق ولا يبصر الا به ولا ينطق الا به كما ورد في
الحديث القدسي ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به

تقربه

تقربه بالنوافل سبب الصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة
القرب من ربه وكل ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال رسول الله ص ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا
من يحب وقال اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال
اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه واخص علامات
حبه الله عز وجل له واما فعل الدال على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله تعالى امره ظاهره
وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل
لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض الدنيا في قلبه
والموحش له عن غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه
وبين معرفته   اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله سبحانه وذلك
لانه هو الموجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه الله نور السموات والارض
والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ومبدأ الادراك من المدرك والمدرك انما
هو الوجود فكما ادركته فانما يدرك الا وجوده وان لم تشعر بذلك وانما خفي عليك
ذلك لغاية وضوحه ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فان الاشياء
انما تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء
فدل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة

على نسق واحد شكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه
عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس
دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها
فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا التفرقة
بين الحالتين فعلمنا ان الاجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا
وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا
الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات
اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم
امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فاذن الحق سبحانه هو اظهر الاشياء وبه ظهر
الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدمت السموات والارض
وبطل الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء
موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة
ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل
خلافه فلا جرم اورثت شدة الظهور خفاء فهي لافراط الظهور عرضت لادراكه
ابصار قوم اخافش وخطفت الزرقاء من نور وجهه لشدته لحظ العيون ا
العوامش قال امير المؤمنين ع لم تحط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها
وقال الظاهر في غيبه والغايب في ظهوره وقال لا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه

الظهور

الظهور عن البطون قرب فنادى وعلا فدنى وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن
اي ظهر وغلب ولم يغلب ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الاضداد

في اليقين والتوكل قال الله تعالى وبالآخرة هم يوقنون وقال
النبي ص من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال
ما فاته من صيام النهار وقيام الليل وقال لما قيل له رجل حسن اليقين كثير
الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد
في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته
العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر
وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال اليقين الايمان كله
وفي وصية لقمن لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر
يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وعن الصادق ع قال ليس شيء الا وله حد
قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا
وقال عليه السلام من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم
بما لم يؤته الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ولو ان
احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال ان الله
بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك
والسخط اراد عليه السلام بقوله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ان لا يلومهم على ترك

صلتهم اياه بالمال ونحوه فان ذلك شيء لم يقدر الله له ولم يرزقه اياه ومن كان
من اهل اليقين عرف ان ذلك كذلك فلا يلوم احدا ابدا لذلك وعرف ان ذلك مما اقتضته
ذاته بحسب استعداده وما اوجبته حكمة الله في امره وعنه عليه السلام ان العمل
الدائم القليل على اليقين افضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين وعنه عليه السلام
قال كان امير المؤمنين صلوات الله عليه يقول لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان
ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وان الضار النافع هو
الله تعالى وعنه عليه السلام ان امير المؤمنين عليه السلام جلس الى حائط مائل يقضي بين
الناس فقال بعضهم لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور فقال امير المؤمنين ع
حرس امرءا اجله فلما قام سقط الحائط قال وكان امير المؤمنين ع مما يفعل هذا واشباهه
وهذا اليقين وعنه عليه السلام قال كان قنبر غلام علي عليه السلام يحب عليا حبا شديدا
فاذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على اثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر
ما لك قال جئت لامشي خلفك يا امير المؤمنين قال ويحك امن اهل السماء تحرسني ام من
اهل الارض قال لا بل من اهل الارض فقال ان اهل الارض لا يستطيعون لي شيئا
الا باذن الله من السماء فارجع فرجع وقيل للرضا عليه السلام انك تتكلم بهذا الكلام
والسيف يقطر دما فقال ان لله تعالى واديا من ذهب حماه باضعف خلقه النمل
فلو رامه البخاتي لم تصل اليه يعني بالسيف سيف السلطان وعنه عليه السلام
كان في الكنز الذي قال الله تعالى وكان تحته كنز لهما كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم

عجبت لمن ايقن

عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف ركن اليها اليقين
ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط كلها
مسخرة لا حكم لها ثم الثقة بضمان الله سبحانه للرزق وان ما قدر له
سيساق اليه ثم ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره ثم المعرفة ان الله تعالى مطلع عليه في كل حال ومشاهد لهواجس
ضميره وخفي خواطره فيكون متأدبا في جميع احواله واعماله مع الله سبحانه فيكون
مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالية اشد من مبالغته
في تزيين ظاهره لساير الناس وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع اليقين يوصل
المتكل حال سنى ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله ص عن عظم شان اليقين
حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى
في الهواء فدل بهذا ان الانبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على
حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون ايضا متفاوتون
في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة
الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالتا
العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لانه يرى كلها
من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع

العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها
مضرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق
شيم والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وانما اعطى الله لعباده حيث
اذن لهم في الكسب والحركات في باب المعيشة ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا
من فرايضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ولا يعدلوا عن محجة التوكل ولا يقفوا
في ميدان الحرص واما اذا ابوا ذلك وارتبطوا اخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين
الذين ليس معهم في الحاصل الا الدعاوي الكاذبة وكل مكتسب لا يكون متوكلا
فلا يستجلب من كسبه الى نفسه الا حراما او شبهة وعلامته ان يؤثر شاكا بحال
من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والماذون بالكسب من كان
بنفسه مكتسبا وبقلبه متوكلا وان كثر المال عنده قام فيه كالامين عالما
بان كون ذلك وعدمه سواء وان امسك امسك لله وان انفق انفق فيما امر الله
عز وجل ويكون منعه وعطاؤه في الله التوكل منزل من منازل الدين
ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه
غامض من حيث العلم ووجه غموضه من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل
ووجه غموضه من حيث العلم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك
في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد

على الاسباب انغماس في غمرة الجهل قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال وقال ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وقال ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه
ومضمون بكفاية الله لابسه فان المحبوب على يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد
قال الله اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو
المكذب لهذا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلون على الله حق توكله كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال ومن سره ان يكون
اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه مما في يده وعن الصادق اوحى الله تعالى
الى داود وما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته
ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن الا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم
عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات
والارض من يديه واسخت الارض من تحته ولم ابال باي واد هلك وعنه عليه السلام
ان الغنى والعز يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا وعنه عليه السلام
انه قرا في بعض الكتب ان الله تعالى يقول بعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي
لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه
من قربي ولابعدنه من وصلي ايؤمل غيري في الشدايد والشدائد بيدي ويرجوا

لرزقكم

عز وجل ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي
مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي
رجاني لعظيمة فقطعت رجاه مني جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا
بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب
بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك
كشفها احد غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسألني
ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري افيراني ابدا بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب سائلي
ابخيل انا فيبخلني عبدي او ليس الجود والكرم لي او ليس العفو والرحمة بيدي
او ليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يأملوا غيري
فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل
الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين
من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني اعلم ان من اعتقد اعتقادا
جازما بانه لا فاعل الا الله وانه لا حول ولا قوة الا بالله وان له تمام العلم والقدرة
على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس
وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته اتكل لا محالة قلبه على الله
وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه ومن لم يجد هذا من نفسه فسببه احد
امرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن وانزعاجه
بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان

في اليقين كان عاجزا ان يبيت مع ميت في قبر او فراش مع علمه بموته وانه من
الجمادات فالتوكل لا يتم الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون
القلب وطمانينة فالسكون في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا
طمانينة معه كما قال تعالى لخليله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي الى
يهوده وكذا النصارى ولا يقين لهما اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه وعن الكاظم
عليه السلام في قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعدد حدها
بحسب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها اعلم ان من الناس من ظن ان معنى
التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة
الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع فان الانسان
مكلف بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله اليها من زراعة او تجارة او صناعة
او غير ذلك مما احله الله وكما ان الصلوة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده
يتقربون بها اليه كذلك طلب الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا بها اليه بل هو
افضل العبادات كما مر بيانه في الباب الاول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه
كلفهم ايضا بان لا يثقوا الا به جل وعز ولا يثقوا بالاسباب كما انه سبحانه كلفهم بانه
لا يتكلوا على اعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى فمعنى التوكل المامور به في الشرع
الاقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عما سواه ولا ينافيه تحصيل

الاسباب اذا لم يكن ليسكن اليها وكان سكونه الى الله تعالى دونها محبوبا ان يؤتيه الله
مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها وان قطع الله
الاسباب عن مسبباتها سواء كانت لجلب نفع متوقع او لدفع ضرر منتظر او لازالة
اذية واقعة وسواء كانت مقطوعا بها كمد اليد الى الطعام ليصل الى فيه او مظنونة
كحمل الزاد للسفر واخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة والادخار لتجدد
الاضطرار والتداوي لازالة المرض والتحرز عن النوم في ممر السباع ومجرى السيل
وتحت الحائط المايل وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك اما الموهومة كالرقية
والطيرة والاستقصاء في دقائق التدبير فيبطل بها التوكل لان امثال ذلك ليست
باسباب عند العقلاء الالباء وليست مما امر الله بها بل ورد النهي عنها على ان المامور
به الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستبطاء قال النبي (ص) الا ان روح
الامين نفث في روعي انه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله عز وجل
واجملوا في الطلب وقال ما اجمل في الطلب من ركب البحر وقال الصادق (ع) ليكن طلبك
المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن اليها ولكن
انزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهي الضعيف
وتكتسب ما لابد منه ان الذين اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم وقال اذا فتحت بابك
وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك وانما لا يبطل التوكل بالاسباب القطعية
او المظنونة مع ان الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك لان الله سبحانه

ابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب كما قال الصادق عليه السلام واحب الله
لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى
خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل
اخفاء من اعين الاعداء ودفعا للضرر وقال النبي (ص) للاعرابي لما اهمل البعير وقال
توكلت على الله اعقلها وتوكل وروي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار
واقام في سفح جبل وقال لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي الذي قسمت لي
والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار
وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب
واوجس في نفسه ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي
وفي الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا
علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني الله من
غير دواء فطالت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرئك حتى تتداوى
بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من
ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع
الاشياء غيري   ومن الناس من يزعم ان حق التوكل ان يكتفي بالاسباب الخفية

عن الاسباب الجلية كان يسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس بغير زاد بعد ان
راض نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب
وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله وان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش
وما يتفق له وان يوطن نفسه على انه ان مات جوعا كان خيرا له في الاخرة او يقعد
في بيته او في مسجده ويتفرغ بترك الكسب للفكر والذكر والاخلاص والاستغراق
وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل
فيحمل اليه شيئا بل يكون قوة القلب في الصبر والاتكال على الله وهذا خطأ
لان من جاهد نفسه وسواها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت
بالحشيش صار ثمّا الاسباب الجلية فان عدم الحاجة احد الغنائين ثم ان كان غنيا
حينئذ على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وان كان انما يثق بالله
وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون الاسباب كما امر الله
به الزاهد الذي مرت قصته واما توطين نفسه باختياره على الموت جوعا
فممنوع شرعا قال الله عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما القاعد في بيته
بعيدا عن كسب فهو ايضا قد ترك اتباع امر الله تعالى بالطلب قال الصادق
ان من يعوله اشد عبادة منه وربما يكون مثله كلا على الناس فان حاله يتادى
بالبؤس والباس بل هو ضرب على بواطن الناس وتعرض للذل الا اذا خرج
من بين الناس فيرجع الى الاول حتى تغريره بالنفس وتعريضه للهلاك وليس

اي مدخل في خفاء الاسباب وجلائها في التوكل بعد ما تقرر ان معناه الثقة
بالله وحده لا بالاسباب سواء وجد الاسباب او فقدها جلاؤها وخفاؤها نعم
يتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه
في قصر الامل وطوله وفي مقدار الادخار بحسب الامل والتردد والتعجيل فمنهم من
هو من المقربين ومنهم من هو من اصحاب اليمين ومنهم من لا توكل له اصلا او
بحسب عدم الوثوق بالاسباب اصلا وقلة وكثرة ومن يكمل ايمانه يقطع ثقته
بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسبا لم يكتسب الا انه لا
يترك الكسب بل يتبع امر الله فيه وليس وثوقه الا بالله وحده دون كسبه قال
الصادق عليه السلام ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق المؤمنين الا من حيث لا يحتسبون
وانما خصه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي ان لا يثق صاحبه بالاسباب وان
يتوكل على الله عز وجل وحده وكمال الايمان انما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء
والاولياء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال السجاد (ع) رايت الخير كله في قطع الطمع
عما في ايدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع
اموره استجاب الله تعالى في كل شيء وقال الباقر (ع) بئس العبد عبد له طمع يقوده
وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق عليه السلام شرف المؤمن قيام
الليل وعزه استغناؤه عن الناس

في الصدق واداء الامانة وادنى الصدق الصدق في القول في كل حال

ومثاله يترك المعاصي من غير ضرورة عذرا عن تفهيم الخلاف وكسب الطلب
صورة كاذبة ورعاية مع الله تعالى ان قال وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه
واياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشوب
يفوته فقال صادق الحلاوة اي محضها فالصادق في النية لابد ان يكون مخلصا
ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول
في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره واذا لقيت عدوا في
سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وقد تكون في عزيمته نوع ميل وتردد يضاد الصدق
في العزيمة ثم في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد
فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وهذا يضاد
الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم في
الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به
لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا غير الرياء لان
المرائي هو الذي يقصد ذلك لاجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته
ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن نظر اليه رآه قائما
بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته
وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك
فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو الا

بمثل الاستوا

مثل الاستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره
وهذا كما قال امير المؤمنين عليه السلام اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم
اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها ثم في مقامات الدين وهو اعلى الدرجات
واعزها كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وسائر المكارم
فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق
المحقق من نال حقيقتها قال الله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر ثم
قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر
رضي الله عنه عن الايمان فقرأ هذه الاية فقيل له سألناك عن الايمان فقال سألت
رسول الله صلعم عن الايمان فقرأ هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بالله
الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ
درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه
وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتقسم عليه
فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس
الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك
المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية
عليه ولذلك قال النبي صلعم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق

لهذه الامور عزيزة جدا ولكن لكل منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي
ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون
بعض وان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا في مصباح قال الصادق
عليه السلام اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في صدق معناك
وعقود دعواك وعيرهما بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن
يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق وادنى حد الصدق
ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا
كمثل النازع روحه ان لم ينزع فماذا يصنع وعنه عليه السلام ان اول من يصدق الصادق الله
تعالى يعلم انه صادق فتصدقه نفسه تعلم انه صادق وعنه عليه السلام قال ان
العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عند الله
من الكاذبين فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر واذا كذب قال الله تعالى كذب وفجر
في رواية ليصدق حتى يكتبه الله صديقا وعنه عليه السلام قال كونوا دعاة
الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وقال لبعض اصحابه
انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله فالزمه فان عليا انما بلغ عند رسول الله
بصدق الحديث واداء الامانة وقال عليه السلام لا تنظروا الى طول ركوع الرجل
وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى
صدق حديثه واداء امانته وقال عليه السلام ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق

الحديث

الحديث واداء الامانة يجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر وعن امير المؤمنين ع
ادوا الامانات ولو الى قاتل ولد الانبياء وعن الصادق ع من ائتمنك بامانة
فادها اليه ومن خانك فلا تخنه في العبادات واسرارها وفيها
سبعة ابواب في النية والاخلاص قال النبي ص انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وانما
قال ذلك حين قال له بعض الصحابة ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نيته من
الهجرة الا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا او نيل الصيت عند الاستيلاء فقال صلى الله
عليه واله وسلم ان كل احد منا له في عمله ما يبتغيه ويصل الى ما نويه كائنا ما كان
دنيويا او اخرويا وهذا الخبر مما يعده اصحاب الحديث من المتواترات وهو اول
ما يعلمونه اولادهم ويقولون انه نصف العلم واعلم انه لا يجب من عبادة الله ولا
بعد من طاعته بحيث يستحق الاجر عليه في الاخرة الا ما يراد به التقرب الى الله تعالى
والدار الاخرة اعني به وجه الله او التوصل الى ثوابه او الخلاص من عقابه وبالجملة
امتثال امر الله تعالى فيما ندب عباده اليه بقوله عز وجل ادعوه خوفا وطمعا وقوله
ويدعوننا رغبا ورهبا وكل ما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الايات التي لا
تحصى فرغب ورهب ووعد واوعد وانما يثيبهم على حسب اقدارهم ومنازلهم
ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطفه فعاله واحبه واشتاق اليه واخلص

عبادته لله لكونه للعبادة ولمحبته له احبه الله واخلصه واجتباه وقربه الى نفسه
وادناه قربا معنويا ودنوا روحانيا فكما قال في حق بعض من هذه صفته وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب وقال امير المومنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه الهى
ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك
ومن لم يعرف من الله سوى كونه الها صانعا للعالم قادرا قاهرا عالما وان له
جنة ينعم بها المطيعين ونارا يعذب بها العاصين فعبده ليفوز بجنته او يكون
له النجاة من ناره ادخله الله بعبادته وطاعته الجنة وانجاه من النار لا محالة كما اخبر عنه
في غير موضع من كتابه فانما لكل امرئ ما نوى فلا تصغ الى قول من ذهب الى بطلان
العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب والخلاص من العقاب زعما منه ان هذا
القصد مناف للاخلاص الذي هو ارادة وجه الله سبحانه وحده وان من قصد ذلك
فانما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه وان هذا قول
من لا معرفة له بحقايق التكاليف ومراتب الناس فيها بل لا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها
وان عبادة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها اما
عاجلا واما اجلا لا مجرد قول الناوي عند العبادة افعل كذا قربة الى الله وتصور
هذا معنى القول بخاطره وملاحظته بقلبه وان لم يكن لنفسه انبعاث الى التقرب
هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس وما ذلك كقول الشبعان اشتهى
هذا الطعام قاصدا حصول الاشتهاء وهذا الانبعاث اذا لم يكن حاصلا لها

لكن

لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور واكثر الناس يتعذر
منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب اليه لانهم لا يعرفون من الله سبحانه
الا المرجو والمخوف فغايتهم ان يتذكروا النار ويحذروا انفسهم عقابها
ويتذكروا الجنة ويرغبوا انفسهم ثوابها وخصوصا من كان الغالب على طبعه
الميل الى الدنيا فانه قلما ينبعث له داعية لاهل الخيرات لينال بها ثواب الاخرة
فضلا عن عبادته على نية اجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية
فانه قل من يفهمها فضلا عن تعاطيها فلو كلف بها كان تكليفا بما لا يطاق وليس
معنى الاخلاص في العبادة الا ان يكون شوبه بشوايب الدنيا والحظوظ العاجلة
للنفس كمدح الناس والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه
وظني انه لا اخلاص ينافيه ارادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الاخرة وان
كان من جنس المالوف في الدنيا ولو كان مثل هذه النيات مفسدا للعبادات
لكان الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود ثم ليت
شعري كيف يمكن العبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا
ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ان يستغني عن جلب النفع من مولاه لنفسه او دفع
الضرر عنها ومن امعن في الامعان فلا يجد اكثر القائلين ببطلان العبادة باحدى
النيتين الاولتين انهم المصححة في عباداتهم ترجع الى احديهما وهم لا يشعرون
وعن الصادق عم العباد ثلثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد

وقوم عبدوا الله عز وجل طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل
حبا لله فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة قوله عم افضل العبادة يعطي ان
العبادة على الوجهين الاولين لا تخلو من فضل ايضا فضلا عن ان يكون صحيحة
فلو ورد في الحديث المشهور عن النبي صلى انه قال نية المومن خير من عمله
ونية الكافر شر من عمله وكل عامل يعمل على نيته وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث
على اقوال شتى والذي ظهر لي ان ذلك لان المومن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده
الوقت على عملها فكان الثواب المرتب على اعماله وايضا ان المومن ينوي ان
يقع عباداته على احسن الوجوه لان ايمانه يقتضي ذلك ثم اذا كان يشتغل بها
لا يتيسر له ذلك فلا يتأتى كما يريد فلا يأتي بها كما ينبغي فالذي ينوي دائما خير من
الذي يعمل به في كل عبادة والى هذا اشار الباقر عم حيث كان يقول نية المومن
خير من عمله وذلك لانه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك
لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه وعن الصادق عليه السلام
انه قيل له سمعتك تقول نية المومن خير من عمله فكيف يكون النية خيرا من العمل
قال لان العمل ربما كان رياء للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز
وجل على النية ما لا يعطي على العمل ثم قال ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي
بالليل فيغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلوته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل
نومه صدقة وعنه عم ان العبد المومن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا

ولم

وكذا من البر ووجوه الخير فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله
له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله ان الله واسع كريم وعنه عليه السلم انه
سئل عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان مؤديا فقال حسن النية بالطاعة
يعني ان يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما نوى بنيته
والا فقد ادى ما عليه من العبادة بحسن نيته وعنه عليه السلام انما خلد
اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله فيها
ابدا وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان
يطيعوا الله ابدا فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال
على نيته وعنه عليه السلام من سمع شيئا من الثواب على شيء فصنعه كان له اجره
وان لم يكن على ما بلغه ومما قيل في معنى الحديث المشهور ان النية انما تكون خيرا من
العمل لان المتوقع نفع العمل عليها دون العكس ولكون الغرض الاصلي من العمل تأثر القلب
بالميل الى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
يناله التقوى منكم الاثر الى ان الجامع امرأته على قصد انها غيرها يخلد في الجماع
غيرها على انها امرأته والنائم صفة القلب وبهذا يعرف معنى قوله عليه السلام
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه
عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تأكيدا
فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها

ايثار الوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم وان
عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم و
التقوى في القلب ولذلك قال النبي ص لما خرج في غزوة تبوك ان بالمدينة
قوما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا
مخمصة الا شاركونا في ذلك وهم في المدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا
معنا فقال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية   النية اما واحدة كالقيام
للاكرام واما متعدد كالتصدق للفقر والقرابة فاما لا يستقل شيء ويعرف بالامتناع
عند الانفراد او يستقل متساويا او متفاوتا وتعدد الجزاء بتعددها كالجلوس
في المسجد لزيارة الله عز وجل فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي من دخل المسجد
فقد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زايره ولانتظار الصلوة والاعتكاف والاعتزال
والتجرد للذكر وترك الذنوب وشركاء القعود فيه للتحدث بالباطل وملاحظة
النساء والمناظرة للمباهاة والمراياة وضرها يجعل المباح عبادة كالتطيب يوم الجمعة
لاقامة السنة وتعظيم المسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وادخال السرور
بالعرف وسد باب الغيبة وربما يفضله على محضها فالنزهة بنومة او دعابة
مباحة لرد نشاط الصلوة افضل منها في الملال وشرها يجعله معصية كالتطيب
للتفاخر باظهار الثروة والتزين للنساء ولا يؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة
الاخوان   النية غير داخلة تحت الاختيار وذلك لما عرفت انها انبعاث النفس

وتوجهها الى ملايم ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او اجلا وما لم يعتقد
الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا
يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير
مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي وا
الصوارف لها اسباب كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص والاحوال وا
والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد لم يمكنه ان
يتزوج على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث
ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي
اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله
ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل
ذلك فربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة
وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد واذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد
طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا واذا لم يكن كذلك فما يقدره
في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت
جماعة من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس يحضرني نية
وذلك لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف
وهو سبب مقت لا سبب قرب وعن الصادق ع انه اتاه رجل له فسلم عليه و

وجلس فلما انصرف عليه السلام انصرف معه الرجل فلما انتهى الى باب داره دخل
وترك الرجل فقال له ابنه اسمعيل يا ابه الا كنت عرضت عليه الدخول فقال
لم يكن من شاني ادخاله قال فهو لم يكن يدخل قال يا بني اني اكره ان يكتبني الله
عارضا وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام صاحب النية الصادقة
صاحب القلب السليم لان سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية
لله في الامور كلها قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
قال النبي ص نية المؤمن خير من عمله وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى
ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون لانه اذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا
والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال
اولئك هم الغافلون ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة وتختلف على
حسب اختلاف الاوقات في معنى قوته وضعفه وصاحب النية الخالصة نفسه
وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه وهو من طبعه و
شهوته ومنية نفسه منه في تعب والناس منه في راحة   واما الاخلاص
فهو تجريد النية عن الشوب فالاخلاص ارادة وجهه تعالى ويعرف بالتفكر في صفاته
وافعاله والمناجاة ثم ارادة نفع الاخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته ان
تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه قال الله تعالى و
ما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال

الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وعن امير المؤمنين ع
قال طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله
بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطي غيره وعن الباقر عليه السلام قال ما اخلص
عبد الايمان بالله اربعين يوما او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوما الا زهده الله
في الدنيا وبصره داءها ودواءها واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن الصادق
عليه السلام في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن
اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل
حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل
والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل
على شاكلته يعني على نيته والطريق الى الاخلاص كسر الحظوظ النفس وقطع الطمع
عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب وكم اعمال يتعب الانسان
فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة
فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد
جماعة في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر وصليت في الصف الثاني
فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس
الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون

عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلها سيئات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
مضى الاشارة الى امثال ذلك في باب ذم الغرور   اعلم انه قد ثبت
اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع ان سفره
لم يخلص للحج والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو ايضا عبادة كما مضى بيانه
وقد عرفت ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها ولعل
الامر كما ظن ان التاجر انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته
غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما
قصد تجارة ولا كما ظن انه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة
كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب نعم اذا كان التجارة للحج والاخا
من غير حاجة فلا يبعد ان يقال ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج
والتوحش عن الاهل انضماما غير مستقل ونحوه اذا انضم الى نية الصوم قصد
الحمية والى نية الوضوء قصد التبرد والى نية العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة
الى غير ذلك اذا لم تكن المنضمات مستقلة واما ما لا يضر بالاخلاص من انواع
الرياء وغيره فقد مر الكلام فيه في باب الرياء والكبر فلا وجه لاعادته
في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام الاخلاص يجمع خواص الاعمال
وهو معنى مفتاحه القبول وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو

المخلص وان قل عمله ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله
اعتبارا بآدم عليه السلام وابليس وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل
كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه باذل
مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك
فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه
في التوحيد كما قال الاول هلك العاملون الا العابدون وهلك العابدون
الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون وهلك الصادقون الا
المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان
الموقنين لعلى خطر عظيم قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به
على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى
مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة من النار والفوز
بالجنة   في الطهارة والنظافة قال الله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
ولكن يريد ليطهركم وقال النبي صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان وقال مفتاح
الصلوة الطهور وقال بني الدين على النظافة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
بئس العبد القاذورة وقال من اتخذ ثوبا فلينظفه وقال امير المؤمنين عليه السلام

النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلوة فتفطن ذووا
البصائر بهذا الظواهر ان الايمان انما يتم بعمارة القلوب والسرائر وان
المراد بقوله صلى الله عليه وآله الطهور نصف الايمان ان عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف
باقاضة الماء نصف الايمان ونصف الآخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة
والاخلاق الحميدة فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث
والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات
والثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها والرابعة تطهير السر
عما سوى الله عز وجل وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة
نصف العمل الذي فيها وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد
الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عما سوى الله
وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة
القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة
الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه
وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال
بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة
الا الدرجة الاولى التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب

والجهل والرياء والنفاق   ينبغي للعاقل ان يتذكر بتخليه لقضاء
الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الاقذار وباستراحة نفسه عند
اخراجها وسكون قلبه من دنسها وصلاحية الوقوف على بساط الخدمة والتاهل
للمناجاة هوان الدنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات
واستفراغ الكثافات والقذر فيها والمؤمن يعتبر عندها ان الخالص من حطام
الدنيا كذلك يصير عاقبتها فيستريح بالعدول عنها وتركها ويفرغ نفسه وقلبه
عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها واستنكافه عن النجاسة والغائط و
القذر ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ويعلم ان التمسك بالقناعة
والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفراغ من التمتع
بها وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته
اياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في اداء اوامره
واجتناب نواهيه طلبا لحسن المآب وطيب الزلف ويسجن نفسه في سجن الخوف
والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله في دار القرار ويذوق
طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء   عن النبي صلى الله عليه وآله قال افواهكم
طرق القرآن فطيبوها بالسواك وقال ع صلوة على اثر السواك افضل من خمس
وسبعين صلوة بغير سواك وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام قال

النبي صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وجعلها من سنة المؤكدة وفيها
منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل وكما تزيل ما تلوث من اسنانك من
مطعمك وماكلك بالسواك كذلك فازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد
والاستغفار بالاسحار وطهر باطنك وظاهرك من كدورات المخالفات وركوب
المناهي كلها خالصا لله فان النبي صلى الله عليه وسلم اراد باستعماله مثلا لاهل اليقظة وهو ان السواك
نبات لطيف نظيف وغصن شجرة عذب مبارك والاسنان خلقه الله تعالى للخلق
اداة للمضغ وسببا لاشتهار الطعام واصلاح المعدة وهي جوهرة صافية
يتلون بصحبة مضغ الطعام ويتغير رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ
فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية زال
عنها الفساد والتغير وعادت الى اصلها كذلك خلق الله القلب طاهرا صافيا
وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم واذا شيب القلب الصافي
معدلته بالغفلة والكدر صقل بصقالة التوبة ونظف بماء الانابة ليعود الى
حالته الاولى وجوهريته الاصلية الصافية قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وان النبي صلى الله عليه وسلم امر باستواء ظاهر الاسنان واراد بهذا المعنى
المثل ومن اتاح تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الاصل
والفرع فتح الله له غيوب الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع اجر المحسنين
قال النبي صلى الله عليه وسلم من توضا فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء كفارة

لما بينهما

لما بينهما من الذنوب ومن لم يسم لم يطهر من جسده الا ما اصابه الماء وقال
الصادق عليه السلام من ذكر اسم الله على وضوئه فكانما اغتسل وفي مصباح
الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا اردت الطهارة والوضوء فتقدم الى الماء تقدمك
الى رحمة الله تعالى فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ودليلا الى بساط
خدمته وكما ان رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهرها
الماء لا غير قال الله تعالى هو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء
ماء طهورا وقال عز وجل وجعلنا من الماء كل شيء حي فكما احيى به كل شيء من نعيم
الدنيا كذلك بفضله ورحمته حيوة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته
وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الاعضاء
التي امرك الله بتطهيرها وات باداب فرائضه وسننه فان تحت كل واحد منها فوائد
كثيرة اذا استعملها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب ثم عاشر خلق الله تعالى
كامتزاج الماء بالاشياء يؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه معتبرا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمن الخالص كمثل الماء ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء
حين انزله من السماء وسماه طهورا وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك
بالماء وقال الرضا عليه السلام انما امر بالوضوء لكون العبد طاهرا اذا قام بين يدي الجبار
عند مناجاته اياه مطيعا له فيما امره نقيا من الادناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب
الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار وانما وجب على الوجه

واليدين والراس والرجلين لان العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من
جوارحه ويظهر ما اوجب فيه الوضوء وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع وبيديه
يسال ويرغب ويرهب ويتبتل وبراسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه
يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلا لان الجنابة من نفس الانسان وهو
شيء يخرج من جميع جسده والخلا ليس هو من نفس الانسان انما هو غذاء يدخل
من باب ويخرج من باب وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال وعلة التخفيف
في البول والغائط انه اكثر وادوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقته
ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة والجنابة لا يكون الا باستلذاذ منهم ولا
اكراه لانفسهم قال بعض اصحابنا ما ملخصه ان الدنيا والاخرة ضرتان
كلما قربت من احدهما بعدت عن الاخرى فلذلك امر العبد بتطهير الاعضاء الظاهرة
الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه فامر في الوضوء بغسل
الوجه التي فيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب الباعثة على طالبه
الدنيا المتوجه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الادناس ثم امر بغسل
اليدين لمباشرتهما اكثر الامور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من
الاقبال على الاخرة ثم بمسح الرجلين لان بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل
الى تحصيل مآربه فيطهرها جميعا ليسوغ له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها
وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان ادخلها لان الانسان واشدها تعلقا

بالملذات

بالملذات الشهوية حالة الوقاع وموجبات الغسل وبجميع بدنه مدخل في تلك
الحالة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت كل شعرة جنابة فحيث كان جميع بدنه بعيدا
من المرتبة البهجة العلية منغمسا في اللذات الدنية كان غسله اجمع من اهم
المطالب الرعية لتاهل المقابلة الجهة الرفيعة والدخول في العبادة المنيفة
وامر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعا لتلك الاعضاء
الرئيسة وهضما لها بالقائها بالتربة الخسيسة قال ولما كان القلب من ذلك
الحظ الاوفر والنصيب الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات
المانعة من درك الفضائل اولى من تطهير الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل
واذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فلعله
مقام الهضم والازراء وليبغه لبساط الذل والاعضاء عسى ان يطلع عليه
مولاه الرحيم وسيده الكريم وهو منكسر متواضع فيهب نفحة من نفحات نوره
اللامع فانه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الاثر فرقى من هذا الاشارات الى ما
يوجب الاقبال ويلافي سالف الاهمال قال امير المؤمنين عليه السلام نعم
البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدرن وفيه اشارة الى انه ينبغي للعاقل
ان لا يغفل عن ذكر الاخرة في لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون في كل ما يراه
من ماء او نار او غيرها عبرة وموعظة فان نظر الى ظلمة المحل وان نظر الى حية تذكر
انواع جهنم وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان راى شيئا حسنا تذكر

نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول تذكر ما ينكشف له في آخر امره بعد الحساب
من الرد والقبول المعبر بذلك والحمام اشبه شيء وعجبهم النار من تحتها
الظلام من فوق فينبغي ان يتذكر حر النار بحرارته ويخل نفسه محبوسا في البيت
الحار ساعة ويقيسه الى جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق ع اذا دخلت
البيت الثالث نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة ترددها الى وقت خروجك
من البيت الحار   في الصلوة والذكر قال الله عز وجل الذين هم في صلوتهم
خاشعون وقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة
عنها مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال سبحانه اقم الصلوة
لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون فيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة وقال النبي ص من صلى ركعتين
لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال انما الصلوة
تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتندم وتضع يديك وتقول اللهم اللهم
فمن لم يفعل فهي خداج وقال اذا صليت صلوة فريضة فصل لوقتها صلوة مودع
تخاف ان لا تعود فيها وقال صلى الله عليه وآله لا ينظر الله الى صلوة لا يحضر الرجل
فيها قلبه مع بدنه وعن الصادق ع من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه ومن قبل
منه حسنة لم يعذبه وروي ان ابراهيم الخليل ع كان يسمع تاوهه على حد ميل وكان في
صلوته يسمع له ازيز كازيز المرجل وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله مثل ذلك

وقال بعض

وقال بعض ازواجه كان النبي ص يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه
وكان امير المؤمنين ع اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله عز وجل وكان ع
اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت
امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلوة من خيفة الله وكان الحسن عليه السلام اذا
فرغ من وضوئه يتغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من اراد ان يدخل على رب العرش
ان يتغير لونه وروي مثل هذا عن السجاد ع وعنه عليه السلام انه اذا كان توضأ يصفر
اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون
بين يدي من اريد ان اقوم ورايته عليه السلام يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم
يسوه حتى فرغ من صلوته فسألته عن ذلك فقال ويحك اتدري بين يدي من كنت
ان العبد لا يقبل منه صلوة الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا فقال كلا ان الله
يتم ذلك بالنوافل وعن الصادق ع قال كان علي بن الحسين ع اذا قام الى الصلوة تغير لونه
واذا سجد لم يرفع راسه حتى يرفض عرقا وعنه عليه السلام قال كان ابي يقول كان علي بن
الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلوة كانه ساق شجرة لا يتحرك منه الا ما حركت الريح منه وعنه
عليه السلام انه سئل عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل
له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته وقيل وكان لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة طور حين

حين قال انى لما الله وعنده عليه السلام قال لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا
وجبت له الجنة فاذا صليت فاقبل بوجهك على الله عز وجل فانه ليس من عبد مؤمن
يقبل بقلبه على الله في صلوته ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين اليه وايده
مع مودتهم اياه بالجنة وعن الباقر ع قال ان العبد ليرفع له من صلوته نصفها او ثلثها
وربعها وخمسها فما يرفع له الا ما اقبل عليها بقلبه وانما امروا بالنوافل ليتم لهم ما
نقصوا من الفريضة ان قيل المستفاد من هذه الايات والاخبار ان صلوة من
تغفل عما تقول فيها ليست مقبولة الا بقدر ما اقبل عليه منها والفقهاء لم يشترطوا
الا حضور القلب عند التكبير والتوجه فكيف التوفيق وايضا فان المصلي في صلوته
ودعائه مناج ربه كما هو معلوم وقد ورد في الخبر ايضا ولا شك ان الكلام مع الغفلة
ليس بمناجاة والكلام اعراب عما في الضمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير الا بحضور القلب
فاي معنى لقوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا ولا شك ان
المقصود من قراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى
وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب
ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل
القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها هذا حكم القراءة والذكر واما
الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو التعظيم كيف يجتمع مع الغفلة
واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة

ما يقصد

ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام و
يقدم على سائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص فاعلم ان
بين القبول والاجزاء فرقا فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الآخرة
ويقرب الى الله زلفى والاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وان لم يترتب عليه ثواب
الناس مختلفون في تحمل التكليف والتكلف انما هو بقدر وسعة الخلق وقابليتهم
في سعتهم وضعفهم فلا يمكن ان يشترط عليهم جميعا احضار القلب في جميع الصلوة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب الضرورة
فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى
اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقتصر على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجوا
ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة
اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا
صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وقد
ذكرنا في باب العقائد في الفرق بين العلم الباطن والظاهر ان قصور الخلق احد الاسباب
المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع وحاصل الكلام ان حضور القلب
هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك
وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب
من الميت فصلوة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به اعلم

ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة تجمعها ست جمل وهي حضور القلب
ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول
مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه ولم يكن
فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب ثم التفهم بمعنى الكلام وهو امر وراء حضور
القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو
الذي اردنا بالتفهم وهذا مقام متفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس في
تفهيم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء
الصلوة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية
عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة
ثم التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم اذ الرجل ربما يخاطب غيره بكلام
هو حاضر القلب فيه وهو متفهم لمعناه ولا يكون معظما له ثم الهيبة وهي زائدة
على التعظيم اذ هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا
ثم كل خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الاجلال ثم الرجاء فالعبد ينبغي ان
يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله ثم الحياء ومستنده
استشعار بتقصير وتوهم ذنب ولنذكر اسباب هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور
القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك
امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن

بل

متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة
ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها
ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان
الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليه فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم
بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلوة واما التفهم
فسببه بعد حضور القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة
وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي
تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا
ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ولذلك ترى من احب غير الله لا يصفو له
صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة
جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لم يعتقد عظمته لا تذعن
النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا
حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم
وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع
فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا
يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس و
حاجتها لم تقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله

وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين و
الاخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء
من المصايب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع وبالجملة كلما ازداد العلم بالله زادت
الخشية والهيبة واما الرجا فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه
ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده
والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعار التقصير
في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعاله مع
العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السرائر وخطرات القلب وان
دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى
الحياء اعلم ان المؤمن لا بد وان يكون معظما لله وخايفا منه وراجيا و
مستحييا من تقصيره فلا ينفك من هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر
وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر
الردية الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشي
الا بدفع سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته
باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه

ويتصرف

ويتصرف فيه ثم ينجر الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم يصير
بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما يجري
على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب
بان يغض بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة
ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون اجمع
للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود
كما ورد الامر به ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم واما
الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت الهموم به في اودية الدنيا لم ينحصر فكره
في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب
من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرأه ويشغلها به
عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة
وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم
بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين
الافكار فان كان لا تسكن افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء
من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا
شك فيها انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب نفسه
بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه

وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه ولا يخفى عليك
ذلك فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فانما ينفع في الشهوات
والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين
بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله
مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه
فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة
فقيل له هذا اسير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة
اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليه الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار
وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله
سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها
اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد
ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها ليتزود منها وليستعين
بها على الاخرة فلا يطمعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا
فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا
انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى
الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع
وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين

لا يحدثون

لا يحدثون انفسهم فيهما بامور الدنيا فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لامثالنا
وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب
في قدح فيه خل فبقدر ما يدخل فيه الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان اذا
سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك
للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف
يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك
قال النبي صلعم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واعتبر بفصول
الاذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله واعتبر بذلك ان الله جل جلاله هو
الاول والاخر والظاهر والباطن ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا
وما فيها لئلا تكون كاذبا في تكبيرك وانف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل
واحضر النبي صلعم وتادب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصل عليه واله وحرك نفسك
واسمع بقلبك وقالبك عند الدعاء الى الصلوة وما يوجب الفلاح وما هو خير الاعمال
وجدد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختمه بذلك كما افتتحت به واجعل
مبدك منه وعودك اليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم اذا اتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم

في ثيابك وهو علايقك الاقرب ثم في بشرتك وهي ثيابك الادنى فلا تغفل عن لبك
الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم
على الترك في المستقبل وطهرها بالحق فانه موقع نظر معبودك قال الصادق عليه السلام
وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة
ثم اذا استرت مقابح بدنك عن ابصار الخلق باللباس فلتخطر ببالك فضايح سرك التي لا
يطلع عليها الا ربك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يسترها عن عين الله ساتر
وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فيستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف
والحياء من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى
قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحياء والخوف
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ازين اللباس للمومنين لباس التقوى [illegible] وانما
اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني ادم وهي كرامة اكرم الله بها عباده ذرية
بني ادم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين الة لاداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك
ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ولا يحملك الى العجب والرياء
والتزين والمفاخرة والخيلاء فانها من افات الدين ومورثة القسوة في القلب واذا
لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك الصدق كما البست ظاهرك
بثوبك وليكن باطنك في ستر الرهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عز وجل
حيث خلق اسباب اللباس لستر العورات الظاهرة وفتح ابواب التوبة والانابة

بعزته

ليستر بها عورات الباطن من الذنوب واخلاق السوء ولا تفضح احدا حيث ستر الله
عليك اعظم منه واشتغل بعيب نفسك فان نسيان الذنوب من اعظم عقوبة الله تعالى
في العاجل واوفر اسباب العقوبة في الاجل وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة
عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الافات غايص في بحر رحمة الله
يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعا
الى حوله وقوته لا يفلح اذا ابدا   وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا بلغت
باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا عظيما لا يطأ بساطه الا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته
الا الصديقون وهب القدوم الى بساط خدمته هيبة الملك فانك على خطر عظيم ان
غفلت واعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك
بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة واجزل لك عليها ثوابا كثيرا وان طالبك باستحقاقه
الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد
واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه فانك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة
به واعرض اسرارك عليه ولتعلم انه لا يخفى عليه اسرار الخلائق اجمعين وعلانيتهم
وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك من كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل الا
الاطهر والاخلص فانظر من اي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته
ولذيذ مخاطباته وشربت بكاس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك واجابته
فقد صلحت لخدمته فادخل فلك الاذن والامان والا فقف وقوف مضطر قد انقطع

عنه الجبل وقصر منه الامل وقصر الاجل وانا علم الله من قلبك صدق الالتجاء اليه
نظر اليك بعين الرافة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فانه كريم يحب
الكرامة لعباده المضطرين اليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته قال الله تعالى ام من
يجيب المضطر اذا دعاه   واما الاستقبال فهو صرف الظاهر وجهك
عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله ليس
مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط
للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت و
ظلمت في حركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن
وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف
عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سوى الله تعالى
وقد قال النبي ص اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته
امه وقال صلى الله عليه وآله اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه
وجه حمار وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة
فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه
ومن كان كذلك فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه
قلب الحمار في قلة عقله للامور العلوية وعدم فهمه العلوم الظاهرة وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع اذا استقبلت القبلة فايس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ

قلبك

قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك
بين يديه يوم تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وقف على قدم
الخوف والرجاء   واما القيام فهو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله
فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطئا متنكسا وليكن وضع
الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس
والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند العرض
للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطلع عليك فقم بين
يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة جلاله بل
قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح
من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه يهدا عند ذلك اطرافك وتخشع
جوارحك وليكن جميع اجزائك خشية ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع
فاذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك و
قل لها انك تدعين معرفة الله وحبه فلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبدا
من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى سئل النبي ص كيف الحياء
فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك   اذا توجهت
بالتكبير فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسة عبادتك في
جنب عظمته وانحطاطها عن القيام بوظائف خدمته واستحقاق جنابه لعبادته

وتفكر عند قولك اللهم انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه
على جميع العوالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار
عند قولك اللهم انت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع
العوالم ثم ارجع الى نفسك بالذل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند
قولك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت واحضر عونه
للقيام الى بهذه الخدمة ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك مجيب دعوة
الداع اذا دعاه ويسمع دعاه ويسمع نداه وان بيده خير الدنيا والاخرة لا بيد غيره
عند قولك لبيك وسعديك والخير في يديك ونزهه من الظلم والشر وابداله
بها محض الهداية والارشاد عند قولك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
واعترف له بالعبودية وان قوام وجودك وبدوه ومعاده منه بقولك عبدك
وابن عبديك منك وبك ولك واليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك الملك
واليك اي معاده وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده فاحضر في ذهنك هذه الحقايق
وترق منها الى ما يفتح عليك من الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الاعلى
واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره بالصلوة و
اتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك
وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي و

بالواتي

وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجالة وترتعد فرايصك
من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فمعناه ان الله سبحانه اكبر
من كل شيء او اكبر من ان يوصف او ان يدرك بالحواس ويقاس بالناس فاذا نطق
به لسانك ينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى
فالله يشهد انك كاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم
ان النبي ص رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له
منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد
وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار
وحسن الظن بكرم الله وعفوه وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام
اذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على
قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب اتخدعني
وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي
فاعتبر انت قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها
وقلبك مسرور بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم انه قد صدقك في صدقك في
تكبيرك والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل
على تكذيب الله لك وطرده لك عن بابه   واما دعاء الاستفتاح فان
كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما والمراد

بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه مقدس
عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه
به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه هو الى امانيه وهمه في البيت
والسوق ومتبع الشهوات ام مقبل على فاطر السموات والارض واياك وان يكون
اول مفاتحة المناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه
عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في
الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك
الخفي فانه قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا انزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك
واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة من
هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله
فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه
وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن
ملائما للحال   واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك
ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه

لعن

لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك
ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه
او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك لا ينفعه
بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره
الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل
من شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن
به لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في
حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير
فعل الخيرات لتمتنع عن فهم ما تقرا فاعلم ان كلما يشغلك عن معاني القراءة
فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني واما
القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه
وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة
اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه
فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب
المقربون السنتهم ترجمان يتبع القلب   واذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان
معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت

الامور بالله فلا جرم كان الحمد ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى
من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث انه مسخر من الله ففي
تسميته وتحميده نقصان بعدد النفاتة الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤه ثم استشعر
من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا
له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك
اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك اياك نستعين
وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته و
تخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعويذ بقولك بسم الله ومن التحميد ومن
اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك
وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك
وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين انعم عليهم بنعمة الهداية
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم
من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابئين والتمس الاجابة وقل امين فاذا تلوت الفاتحة فتخ
لذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي صلعم قسمت الصلوة
بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله

رب العالمين

رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى سمع الله لمن حمده
الحديث الى اخره وان لم تكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته
فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرا
من السورة كما ياتي في باب تلاوة القرآن فلا يغفل عن امره ونهيه ووعده و
وعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد
والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق
ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء ويكون هذه المعاني بحسب درجات
الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات لا تنحصر والصلوة
مفتاح القلوب فيها تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار و
التسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد ولا يعجل فان ذلك ايسر
للتامل ويفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد
والتعظيم كان بعضهم اذا مر بمثل قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
يغض صوته كالمستحيي ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن اقرا و
ارق فكلما اية صعد درجة ‌ ‌ ‌ ‌ واما دوام القيام فتنبيه على ادامة القلب
مع الله على نعت واحد من الحضور قال النبي صلى الله عليه واله ان الله مقبل على
المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس والعين من الالتفات الى الجهات فكذلك
يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع الله

عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي لبعوده اليه والزم الخشوع بهما
خشوع الباطن وخشوع الظاهر قال ص وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح
الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكذا ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم
من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك
ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته
عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وتدبر قوله تعالى الذي يريك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين واما الركوع فينبغي ان يجدد عنده ذكر كبرياء الله و
ترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له
ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر
ذلك وعزه وعلاه واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك
بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك
على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترفع من ركوعك راجيا انه راحم ذلك وتؤكد الرجاء
في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي
للمزيد فتقول اهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت وعن امير المؤمنين عليه السلام
انه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تاويله امنت بك ولو ضربت عنقي
وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة الا زينه الله

بنور بهائه

بنور بهائه واظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع اول والسجود
ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب ومن لا
يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت
سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة
الراكعين وحكي ان ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا
هو اصبح تزفر وقال اه سبق المخلصون وقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك
وانحط عن همتك في القيام بخدمته الا بعونه وفر بالقلب من وساوس الشيطان
وخدائعه ومكائده فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم الى اصول
التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم ثم تهوي الى
السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حاجزا فتسجد على الارض فافعل فانه
اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها
موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت ثم
فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان
المرة الواحدة ضعيفة الاثار فان رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة
ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك
مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفرا من ذنوبك ثم اكد التواضع بالتكرار وعد

الى السجود ثانيا كذلك وعن امير المؤمنين ع انه سئل ما معنى السجدة الاولى فقال تأويلها
اللهم انك منها خلقتنا يعني من الارض وتأويل رفع رأسك اخرجتنا والسجدة
الثانية واليها تعيدنا ورفع رأسك ومنها تخرجنا تارة اخرى وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما
افلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعد الله للساجدين
من انس العاجل وراحة الآجل ولا بعد عن الله عز وجل ابدا من احسن تقربه في السجود
ولا قرب اليه ابدا من اساء ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال السجود فاسجد
سجود متواضع لله ذليل علم انه خلق من تراب يطأه الخلق وانه ركب من نطفة يستقذرها
كل احد وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن
قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود الا بالتواري
من جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون كذلك امر الباطن فمن كان قلبه
متعلقا في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله
منه في صلاته قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال رسول الله ص
قال الله تعالى لا اطلع على قلب عبد فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي
الا توليت تقويمه وسياسته ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين
بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين   واذا جلست في التشهد
بعد هذه الافعال الدقيقة والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة

فاستشعر الخ

فاستشعر الخوف التام والرهبة والحياء والوجل ان يكون جميع ما سلف
منك غير تام على وجهه فاجعل يدك صفرا من فوائدها الا ان يتداركك الله برحمته
ويقبل عملك الناقص بفضله وارجع الى مبدأ الامر واصل الدين واستمسك بكلمة
التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا ان لم يكن حصل في يدك غيره واشهد
له بالوحدانية واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم ص المتصل بعشر امر صلاته
ذاتك بحقيقة صلواتك عليه التي لو وصل اليك منها واحدة افلحت ابدا وفي مصباح
الشريعة قال الصادق ع التشهد ثناء على الله فكن عبدا له في السر خاضعا له في الفعل
كما انك له عبد في القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرك فانه خلقك
عبدا وامرك ان تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك وان تحقق عبوديتك له بربوبيته
لك وتعلم ان نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيته
وهم عاجزون من اتيان اقل شيء في مملكته الا باذنه وارادته قال فاستعمل
العبودية في الرضا بحكمته وبالعبادة في اداء اوامره وقد امرك بالصلاة على
نبيه محمد ص فاوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر
ان لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته   واذا فرغت
من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيد المرسلين والملائكة المقربين وبقية
انبياء الله والائمة عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المحصين لاعمالك
واحضرهم جميعا في بالك وقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ولا تطلق لسانك

بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في فعله فتكون من العابثين واللاعبين
وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورأفته
الكاملة في اجتزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيدا من درجات القبول
منحطا عن اوج القرب والوصول وان كنت اماما للقوم فاقصدهم بالسلام مع من
تقدم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك ايضا ثم يقصدوا [illegible]
بسلام ثان فاذا فعلتم ذلك فقد اديتم وظيفة السلام واستحققتم من الله مزيد
الاكرام وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام معنى السلام في دبر كل صلوة الامان
اي من ادى امر الله وسنة نبيه خالصا لله خاشعا فله الامان من بلاء الدنيا
وبراءة من عذاب الاخرة والسلام اسم من اسماء الله تعالى اودعه خلقه ليستعملوا
معناه في المعاملات والامانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم
وصحة معاشرتهم وان اردت ان تضع السلام موضعه وتؤدي معناه
فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ان لا تدنسها بظلمة المعاصي و
ليسلم حفظتك ان لا تبرمهم وتملهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم
صديقك ثم عدوك فان لم يسلم منه من هو الاقرب اليه فالابعد اولى ومن لا
يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا اسلام ولا تسليم وكان كاذبا في سلامه وان
افشاه في الخلق   اعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله
تعالى انما هما بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول

انوار في

انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح للعلوم الباطنة قال الله تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة وهي المقرونة
بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة فقال في آخرها والذين هم على صلوتهم يحافظون
ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها
خالدون فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وقال النبي صلى الله عليه وآله اذا قام العبد المؤمن
في صلوته نظر الله اليه وقال اقبل الله عليه حتى ينصرف واظلته الرحمة من فوق رأسه
الى السماء والملائكة تحفه من حوله الى افق السماء ووكل الله به ملكا قائما على رأسه
يقول ايها المصلي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك
ابدا   ويختص صلوة الجمعة باستحضار ان يومها يوم عظيم وعيد شريف
خص الله به هذه الامة وجعله وقتا شريفا للعبادة ليقربهم فيه من جواده ويبعدهم
من طرده وناره وحثهم فيه على الاقبال بصالح الاعمال وتلافي ما فرطوا فيه في بقية
الاسبوع من الاهمال وجعل اهم ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفى لديه
صلوة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من بين سائر الصلوة
التي هي افضل القربات بالذكر فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفي هذه الآية
الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينبه له من لحظ من المعاني ومن اهمها
التعبير عن الصلوة بذكر الله فانه ينبه بهذا على ان الغرض الاقصى من الصلوة ذكر الله

ما الطلب والمخاطبة بالبال فان هذا واشباهه هو السبب في كون الصلوة ناهية
عن الفحشاء والمنكر وهذا يتم مع التوجه التام الى الله وملاحظة جلاله الذي هو اكبر
الاكبر والكبير على ما ورد في بعض التفاسير فضلا عن ان يكون ذكرا مطلقا فلا جرم وجب
الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوة والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف
بين يديه والمسئول في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصلوة
من وظايف اليوم من التنظيف والتطيب والتعمم وحلق الراس وقص الشارب و
الاظفار وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف وعمل خالص ونية خالصة كما تعمل
ذلك في لقاء ملوك الدنيا ولا تقصد بهذه الوظايف حظا من الزاهية فتخسر صفقتك
ويظهر بعد ذلك حسرتك وكلما امكنك تكثر المطالب التي يترتب عليه الثواب بعمل
فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها ان امكنك ذلك   واما
صلوة العيدين فاحضر في قلبك انها في يوم قسمة الجوايز وتفرقة الرحمة وافاضة
المواهب على من قبل صومه وقربانه وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلوتك
والابتهال الى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول اعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر
الحياء والخجلة من خيبة الرد وخوف الطرد فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد
انما هو عيد من امن من الوعيد وسلم من المناقشة والتهديد واستحق بصالح اعماله
المزيد فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظايف واسباب التهيؤ
للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه

دعى

فرحك فيه بما لا يغني لاجله من متاع الدنيا بل بكثرة عوايد الله فيه على من عامله
بمتاجر الآخرة   واما الآيات فاستحضر عندها اهوال الآخرة وزلازلها
وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيمة ووجل الخلايق وخوفهم من الاخذ والنكال
والعقوبة والاستيصال فاكثر من الدعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع والحزن
والوجل في النجاة من تلك الشدايد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة
والزلة وتب الى الله من ذنوبك واحسن التوبة عسى ان ينظر اليك وانت منكسر النفس
مطرق الراس مستحيي من التقصير فيقبل توبتك ويسامحك فقد قال السجاد ع
لا يفزع للآيتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله
وراجعوه وقال الرضا ع انما جعلت للكسوف صلوة لانه من آيات الله تعالى لا يدرى
الرحمة ظهرت ام العذاب فاحب النبي ص ان تفزع امته الى خالقها وراحمها عند ذلك
ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا الى الله عز وجل
ينبغي للمصلي ان يعقب فرايضه بالذكر والدعاء فقد ورد في فضايلهما
ولا سيما عقيب الصلوة ما لا يحصى اما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام وفي اكثر
الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس
والحب واخره يوجبه الانس والحب والمطلوب منه ذلك الانس فان العبد في
بداية الامر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق
للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر

ذكر شيء وان كان متعلقا اجنبه ثم اذا اتصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله
يفارقه عند الموت ولا يبقى الا ذكر الله فاذا كان قد آنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع
العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى
بعد الموت عائق فكانه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن
الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه وهذا الانس يتلذذ بها العبد بعد موته الى ان ينزل
في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء، واما الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث
النبوي وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين قال هو الدعاء وافضل العبادة الدعاء، وقال في قوله سبحانه ان ابراهيم
لأواه حليم قال الاواه هو الدعاء، وسئل عليه السلام اي العبادة افضل فقال ما
من شيء افضل عند الله من ان يسئل ويطلب مما عنده وما من احد ابغض الى الله
ممن يستكبر عن عبادته ولا يسئل ما عنده وقال امير المؤمنين عليه السلام احب الاعمال
الى الله تعالى في الارض الدعاء، وكان عليه السلام رجلا دعاء، وقال عليه السلام
الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي
وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص فاذا اشتد الفزع فالى الله
المفزع وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام احفظ ادب الدعاء وانظر
من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وكبريائه وعاين بقلبك
علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما يكن فيه من الحق والباطل واعرف طرق

نجاتك

نجاتك وهلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى ويدعوا الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وتفكر ماذا تسئل ولماذا تسئل والدعاء
استجابة لكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار
جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله فان لم تأت بشرط الدعاء فلا
ينتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف
ذلك فاعلم انه لو لم يكن امرنا الله بالدعاء لكنا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا
بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء قال فاذا اتيت بما ذكرت
لك من شرائط الدعاء، واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلثة اما ان يعجل
لك ما سألت واما ان يدخر لك ما هو اعظم منه واما ان يصرف عنك من البلاء ما
ان لو ارسله عليك لهلكت وروي عن الصادق عليه السلام قرأ امن يجيب
المضطر اذا دعاه فسئل ما لنا ندعوا ولا يستجاب قال لانكم تدعون من لا تعرفونه
وتسئلون ما لا تفهمونه فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله
من علامة الخذلان من لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم
على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله

في تلاوة القرآن

قال النبي ص القرآن هدى من الضلالة وتبيان
من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة
من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة وفيه

كمال دينكم وما عدل احد من القرآن الا الى النار وقال صلى الله عليه وآله وسلم
انا اول وافد على العزيز الجبار يوم القيمة وكتابه واهل بيتي ثم امتي ثم اسالهم
ما فعلتم بكتاب الله واهل بيتي وقال امير المؤمنين ع في وصاياه لابنه محمد ابن الحنفية
وعليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وامره
ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تبارك وتعالى الى
خلقه فهو واجب على كل مسلم ان ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين اية واعلم ان درجات
الجنة على عدد آيات القرآن اقرأ وارق فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين
ارفع درجة منه وعن الباقر ع يجيء القرآن في احسن منظور اليه صورة فيمر بالمسلمين
فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم الى الملائكة المقربين فيقولون هو منا حتى ينتهي الى
رب العزة جل وعز فيقول يا رب فلان ابن فلان اظمأت هواجره واسهرت ليله في دار الدنيا
وفلان ابن فلان لم اظمأ هواجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى ادخلهم الجنة على منازلهم
فيقوم ويتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ وارق قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم
منزلته التي هي له فينزلها وعن النبي ص ما يقرب منه مع زيادات وعن الصادق ع
قال قال رسول الله ص اقرؤا القرآن بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق
والكبائر فانه سيجيء بعدي اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح
والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شانهم وعنه
عليه السلام انه سئل عن قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا قال قال امير المؤمنين عليه السلام

بيّنه

بيّنه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افزعوا قلوبكم القاسية
ولا يكن هم احدكم آخر السورة وفي رواية اخرى قال الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان
الحروف وعن الصادق ع هو ان تتمكث وتحسن به صوتك وعنه عليه السلام
قال القرآن نزل بالحزن فاقرؤه بالحزن وعن النبي ص اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وعن الصادق ع قال قال النبي لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن
وعنه عليه السلام قال كان علي بن الحسين ع احسن الناس صوتا بالقرآن وكان
السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته   في مصباح الشريعة
قال الصادق ع من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنا ووجلا
في سره فقد استهان بعظم شان الله وخسر خسرانا مبينا فقارئ القرآن يحتاج الى ثلثة
اشياء قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان
الرجيم قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تفرغ نفسه
من الاسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده
واذا اتخذ مجلسا خاليا واعتزل من الخلق بعد ان اتى بالخصلتين الاوليين استأنس
روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام
اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع اشاراته فاذا شرب كاسا من هذا المشرب حينئذ
لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا بل يؤثره على كل طاعة وعبادة
لان فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك

وكيف يجتنب اوامره ونواهيه وكيف تمثل حدوده فانه كتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده
وتفكر في امثاله ومواعظه واحذر ان تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده
ينبغي لتالي القران من امور الباطن منها فهم عظمة الكلام وعلوه
وفضل الله تعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه
فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته الى افهام
خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ
يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا
استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى
ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى
عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا
وهذا كما ان الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من
تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم
الصادر من انوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة
تمييز البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة
من اصواتهم التي يطيقون حملها وكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فلذلك
اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان

نافذ

نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى
ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس
ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس
ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط
ومنها التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم
ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه
الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس
الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان
منقطعا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ومنها حضور القلب
وترك حديث النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به
ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له
فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج
في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ومنها التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر
في غير القراة ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من
القراءة التدبر قال الله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ولذلك سن فيه
الترتيل لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر في الباطن قال امير المومنين علي عليه السلام

لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا
بالترديد فليردد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ليلة
باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
ومنها التفهم وهو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى
وذكر افعاله وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا
وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله فكقوله ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
فليتامل معاني هذه الصفات والاسماء لتنكشف له اسرارها فتحتها معاني
مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار امير المؤمنين بقوله ما اسر الي رسول الله
شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا
على طلب ذلك الفهم واما افعاله فكذكر خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي
منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فيدل عظمته على عظمته فينبغي
ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء منه واليه وبه
وله ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله
باطل وان كل شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء فاذا سمع منها كيف كذبوا
وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو
اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى

وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم
فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه
الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما يدركه
النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في
القران فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه
بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ومنها التخلي عن موانع
الفهم فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار القران قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت لانها
انما تدرك بنور البصيرة دون الحواس وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم
منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه الشيطان وكل
بالقراء ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله ولا يزال يحملهم على ترديد الحرف
يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف
فانى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا له بمثل هذا التلبيس
ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قد
قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فان لمح برق

على بعد وبدا له معنى من معانيه التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد
حمله وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابائك الثالثة ان يكون مصرا
على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب
ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المراة ولذلك قال النبي اذا عظمت امتي
الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة
الوحي وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال
وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا
على نعيم الاخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب ورابعها
ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله
النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فليتبوا
مقعده من النار وهذا لا يدري ما معنى التفسير بالراي ولا يفهم معنى قول امير المؤمنين
الا ان يؤتي الله العبد فهما في القران وانه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس
فيه   ومنها التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران
فان سمع امرا او نهيا قدر انه هو المامور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا
فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود
الاعتبار واخذ ما يحتاج اليه فما من قصة في القران الا وسياقها لفائدة
في حق النبي وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله يثبت فؤاده

بما يقصه

بما يقصه عليه من احوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار
نصر الله وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله خاصة بل هو شفاء
وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا
نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله الامثال
للناس امثالهم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد
الاحاد فهذا الواحد القارئ مقصود فما له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال
بعض الحكماء هذا القران رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات   ومنها
التاثر وهو ان يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل
فهم حال ووجد ووجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها
ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب
على ايات القران فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف
عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبع ذلك باربعة شروط لمن تاب وامن و
عمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شرايط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا

فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالانسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن
من اوله الى اخره ومن فهم فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذا قال علي
ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه
وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته فتاثر العبد بالتلاوة
ان يصير بصفة الاية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل
من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير
من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولدا وصاحبة
يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه
شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها والقرآن انما يراد لاستجلاب
هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالمؤنة بتحريك اللسان بحروفه خفيفة
بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها و
كذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر
يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيها اللسان و
العقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني
وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار فاللسان واعظ والعقل

مترجم

مترجم والقلب متعظ ومنها الترقي واعني به ان يترقى الى ان
يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر
العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون
حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان
ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم و
الاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه
ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور
الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره
وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهي
من درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر الصادق ع فقال والله لقد تجلى الله
لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حاله لحقته في الصلاة
حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الاية
على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة
تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد
له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله ص يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى
مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ص
ثم جاء الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت لذة

ويغفيها الا اجر عنه ومنها التبري واعني به انه يتبرى عن حوله وقوته
والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح
للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها
ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آية الوعيد وذم العصاة والمقصرين يشهد
نفسه هناك ويقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولهذا اشار امير المومنين
في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله واذا مروا باية فيها تخويف اصغوا اليها
مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم في اذانهم فاذا راى نفسه بصورة التقصير
في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له
بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب
في البعد مكر به في الامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل
مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا
جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت
بحسب احواله فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب حاله الاستبشار ينكشف له صورة
الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى
انواع عذابها وذلك لان كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف
والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام
والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات

وبحسب

وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها
اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض و
كلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف
لا يهمل في الزكوة والمعروف قال الله تعالى واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة وقال النبي ص اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر ع ان الله تعالى
قرن الزكوة بالصلوة وقال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة
فلم يقم الصلوة وقال الصادق ع ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة
وفيها تهلك عامتهم وقال من منع قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله
تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وقال عليه السلام ما من ذي مال ذهب او فضة
يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده
وهو يحيد عنه فاذا راى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل ثم
يصير طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي
مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطاه كل ذات
ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع
زكوتها الا طوقه الله ربعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة وقال عليه السلام
انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا
زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس

ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله
ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق
انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بترك
التسبيح في ذلك اليوم وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من
ادى زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله وفي رواية قال
ان الله حسب الاموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل الف خمسة وعشرين درهما
ولو لم يكفهم لزادهم وقال عليه السلام ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما
هو شيء ظاهر وانما حقن بها دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة
وان عليكم في اموالكم غير الزكوة فقيل اصلحك الله وما علينا في اموالنا غير الزكوة
فقال سبحان الله اما تسمع الله تعالى يقول في كتابه وفي اموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم قيل فماذا الحق المعلوم الذي علينا قال هو والله الشيء يعلمه الرجل في
ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او في الشهر قل او كثر غير انه يدوم عليه وقوله
تعالى ويمنعون الماعون قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع
البيت تعيره ومنه الزكوة فقيل ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه
فعلينا جناح ان نمنعهم فقال ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك قيل
يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ليس من الزكوة قيل ان تبدوا
الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال ليس من

الزكوة

من الزكوة وقال عليه السلام انما اعطاكم الله هذا الفضول من الاموال
لتوجهوها حيث وجهها الله عز وجل ولم يعطكموها لتكنزوها وسئل عليه السلام
في كم تجب الزكوة من المال فقال اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرين واما
الباطنة فلا تستأثر على اخيك بما هو احوج منك المعروف هو الانفاق
على النفس والعيال ثم صلة من يجب صلته ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله
ثم كل صدقة على فقير او مروة اليه او الغني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها
جلبا للخير او دفعا للشر دينيين او دنيويين سائغين شرعا او ايصال النفع عام كبناء
مسجد ونحوه او خاص كارشاد الضال والتعليم وقرى المرأة للتعفف والعدل
وقضاء حاجة المؤمن وانظار المعسر والتحلل والقرض والحمل على الدابة وطيب
الكلام والخطوط الى الصلوة والتوسع على العيال والتبسم في وجه اخيه واعارة
المتاع واطراق الفحل وغير ذلك وقد يسمى الكل بالصدقة سوى المرادف وورد
كل معروف صدقة والبر يشمل الجميع وربما يخص بما سوى الصدقة
وورد البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما
سبعين ميتة سوء وورد صنائع المعروف تقي مصارع السوء وشرط الانفاق
القوام قال الله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وعن الصادق عليه السلام انه تلا هذه الاية فاخذ قبضة من حصى وقبضها بيده
فقال هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم قبض قبضة اخرى فارخى كفه كلها

ثم قال هذا الاسراف ثم اخذ قبضة اخرى فاخرج بعضها وامسك بعضها
وقال هذا القوام ولا بأس بالرجل اذا امسك ماله مراقبا لمواقيت الحاجات ومواقع
الخيرات فيكون قصده في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف
الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهه قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة
صدقة عن ظهر غنى يعني ما يكون بعد الغنى والمؤنة لئلا يكون القلب متعلقا
بما يعطي وقال افضل الصدقة صدقة ~~عن ظهر غنى يعني ما يكون بعد الغنى~~
يكون عن فضل الكف يعني عما يفضل عن الكفاف وقال ولا يلوم الله على الكفاف
يعني اقتناء ما يكفيه   اعلم ان السر في ايجاب الزكوة وانفاق المال
امتحان العبد وفيه ثلاثة معاني الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام التوحيد
وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى
الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى
وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها
آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان
فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال
الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه
من المهلكات قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب

المرء

المرء بنفسه وقال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانما
يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته
حتى يصير ذلك اعتيادا فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل
المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله
تعالى والمعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله فالعبادات
البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد
ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى
في اغنائه عن السؤال   ينبغي للمنفق ان يغتنم الفرصة مهما ظهرت
داعية الخير من الباطن فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة
عقيب لمة الملك ولان لا يحوج الفقير الى السؤال فورد انه مكافاة لوجهه المبذول
وثمن لما اخذ منه وليس بمعروف ويعين لعين الوقت وقتا فاضلا كشهر رمضان
وسيما عشر اخره وذي الحجة وسيما عشر اوله والعيدين ويسر في الصدقة بحيث
لا يدري شماله ما يعطي يمينه قال الصادق م الصدقة في السر والله افضل
من الصدقة في العلانية وكان عليه السلام اذا اعتم وذهب من الليل شطره اخذ
جرابا فيه خبز ولحم والدراهم وحمله على عنقه ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل
المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه فلما مضى عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا

انه كان اباعبد الله عليه السلام ومعه اعتم صلى العتمة وعن النبي صلى الله عليه وآله صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال الصادق ع كل ما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكل ما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه ولو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا قال الله عز وجل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال هي سوى الزكوة وسئل النبي صلى الله عليه وآله اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقا وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وينبغي ان يستصغر العطاء ليعظم عند الله تعالى وهو يذكر التوفيق والثواب قال الصادق ع رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا سترته تممته واذا عجلته هناته وان كان غير ذلك محقته ونكدته ويعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة قال الله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحيا وهو معنى الاغماض فلا تؤتوا به ربكم وان يعطيه ان قدر فورد اذا اعطيته فقبّل يده ويقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع في يدي الله تعالى اولا وقال امير المؤمنين ع اذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز وجل

فهو الودر

ياخذ الصدقات وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الاية الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقال الصادق ع ان الله تعالى يقول ما من شيء الا وقد وكلت من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل ليتصدق والمرأة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلقاني يوم القيمة وهي مثل جبل احد واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من الاخذ لان دعاءه يستجاب فيه ويصرف الى ما يكون باعطائه الاجر بكونه متقيا عالما مناديا يرى النعمة من الله تعالى ساترا للحاجة محصورا في سبيل الله محبوسا في طريق الاخرة بمرض او عيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب من الاسباب ولكن يرفع اهل العلم والايمان من الزكوة الواجبة والصدقات لانها اوساخ الاموال فورد ايحب احدكم ان يغسل يده ثم يصبه على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فيوسع عليهم بالهدايا والصلوات ويبدأ بمن يعول ثم الاقرب فالاقرب والاهم فالاهم وورد ان افضلها على ذي الرحم الكاشح يعني المبغض وكانه المخالفة العدو وورد لا صدقة وذو رحم محتاج الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وان يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء ولا يرد السائل الا المتلطف فورد اكرم السائل ببذل يسير او برد جميل اطعموا ثلثة وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم وان يغتنم السائل سيما

فجازوا له الطلب فهو علامة صدق السائل وسوء الظن بنفسه عند فقد ولا يحتقر
ما عنده فيرده ولا تستحيوا من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه ويريد افضل الصدقة
جهد المقل وان لا يطلع ما تصدق به اختيارا ويقسم صدقة السر فانه اجل المعطي
ويجتنب المن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والمن ان يرى نفسه محسنا ويعرف بقوة استبعاد
جناية القابض بحل العطاء والمحسن هو القابض لايصاله الى الثواب والانجاء من
العقاب وكونه نايبا عنه تعالى وهو حق لله عز وجل احاله عليه الفقير انجاز ما وعد
من الرزق والاذى التعيير والتوبيخ والقول السيء والقطوب والاستخدام
هتك الستر والاستخفاف وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض لشيء
من الجهل برجحان رضا الله تعالى على حسن حال انسان فضل الفقير وعن الصادق ع
قال كان امير المؤمنين ع يقول من علم ان ما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم
ولم يستزدهم في مودتهم فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك
ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم
وجهك عن رده وعن الباقر عليه السلام انه قيل له الرجل من اصحابنا من يستحيي ان
ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة فقال اعطه ولا
تسم له ولا تذل المؤمن ينبغي للاخذ ان يعلم ان الله تعالى امر المعطي بصرفه اليه
ليكفي مهمه فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه

مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال النبي ص من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال
الصادق ع لعن الله قاطعي سبل المعروف فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى
غيره وان كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول الجميل فان ضعف كان
شكورا ومن شكر كان كريما ولا يستر عيوب صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمه
ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه بحيث لا يخرج عن
كونه واسطة لئلا يكون شركا ضمن الصادق عليه السلام في قول الله تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت
كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع
عنه قيل فيقول لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا ونحوه وان يتوقى
مواقع الريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا ياخذ ممن لا يحل ماله ولا الزيادة على
الحاجة ولا يسال على رؤوس الملا ممن يستحيي الرد ويتورع العالم من اخذ الزكوة ما لم
يضطر اليه تنزيها لنفسه عن الاوساخ وان يستر الاخذ بنية انه ابقى للستر وارفق
وكشف الحاجة والتعفف واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن وال
الغيبة واعانة للمعطي على الاسرار واصون لنفسه عن الاذلال وعن شبهة الشركة
فان الحضار شركاؤه فيها او يظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال
واسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر واقامة سنة الشكر
وغير ذلك فانه يختلف باختلاف النيات والاحوال والاشخاص فليراقب ذلك فانه موضع

العـزيز ‍ ينبغي للمؤمن ان لا يسئل الناس من غير حاجة اضطر اليه بل
يستعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل
يوم القيمة قال النبي صلى الله عليه وآله يوما لاصحابه الا تبايعون على ان تسئلوا الناس شيئا
فكان بعد ذلك يقع المخصرة من يد احدهم فينزل لها ولا يقول لاحد ناولنيها وقال عليه السلام
لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه
خير له من ان يسئل وقال من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال الباقر عليه السلام
ضمنت على ربي ان لا يسال احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما
الى ان يسئل من غير حاجة ونظر عليه السلام يوم عرفة رجالا يسئلون فقال هؤلاء اشرار
من خلق الله الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر عليه السلام
اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال عليه السلام
طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزة مذهبة للحيا، واليأس مما في ايدي الناس
عز للمؤمن والطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يسئل الناس
شيئا ولو مات جوعا وقال عليه السلام لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سئل احد احدا
ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع احد احدا وقال من سئل من غير حاجة فكانما
ياكل الجمر وسئل رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال اسئلك بوجه الله فامر النبي صلى الله عليه وآله فضرب خمسة اسواط
ثم قال سل بوجهك اللئيم ولا تسئل بوجه الله الكريم اعلم ان للجسد زكوة
كما ان في المال زكوة وهو نقصه لمزيد الخير والبركة اما اضطرارا بان يصاب بانه او اختيارا

بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية وعن الصادق عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله
يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين
يوما مرة قيل له يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجساد فقال لهم ان
تصاب بآفة فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه فلما رآهم قد تغيرت الوانهم قال هل تدرون
ما عنيت بقولي قالوا يا رسول الله قال ان الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة
ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين وفي
مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت
شعرك بل على كل لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة
الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك والاعراض
عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ
للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليد البذل والعطاء والسخاء بما انعم الله به
عليك وتحريكها بكتبة العلوم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن
الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس
وصلة الرحم والجهاد وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك هذا مما تحمل القلوب والتقوى
استعماله وما لا يشرف عليه الا عباده المقربون المخلصون اكثر من ان يحصى وهم اربابه
وهو شعارهم ودثارهم وعن النبي صلى الله عليه وآله لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام
في الصوم قال الله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار وقال صلى الله عليه وسلم الصائم في عبادة ولو كان
نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما وقال قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به وللصائم
فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه عز وجل والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم عند الله
اطيب من ريح المسك وقال الباقر عليه السلام بني الاسلام على خمسة اشياء على الصلوة و
الزكوة والحج والصوم والولاية وقال الباقر عليه السلام من صام لله عز وجل يوما في شدة الحر فاصابه
ظما وكل الله به الف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا افطر قال الله ما اطيب ريحك
وروحك يا ملائكتي اشهدوا اني قد غفرت له والروح النفس بالتحريك وقال عليه السلام نوم
الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب وقال الكاظم عليه السلام
قيلوا فان الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه قيل ولو لم يكن في الصوم
الا الارتقاء من حضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالملائكة الروحانية
لكفى به فضلا ومنقبة وانما كان الصوم جنة من النار لانه يدفع حر الشهوة و
الغضب اللتين بهما يصطلي نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز له في الآخرة
كما ان الجنة يدفع عن صاحبها حر الحديد وانما قال ما لم يغتب مسلما لان الغيبة اكل
لحم الميتة فهو نوع من الاكل يتقوى به البدن وانما كان الصوم لله عز وجل وشرفا
بالنسبة الى الله وان كانت العبادات كلها لله كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها
له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع
الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يعلمه الا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد

الخالص

الخالص لله وجزاؤه من عند الله خاصة من غير مشاركة احد فيه والثاني انه قهر لعدو الله
فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع فالشهوات
مرتع الشيطان ومرعاه فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا
ينكشف على الله جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون
على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فلاستشعارهم
التوفيق من الله عز وجل على اتمام الصيام ونيل الاجر واما للعوام فانقضاء المقاساة و
نيل الشهوات وسبب الفرحة عند لقاء الرب اما للخواص فحصول نور القلب لهم
المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب المطلبين له بالجوع الباعث لهم ان
يعبدوا الله عيانا كانهم يرونه وهو المعني باللقاء وخلوف الفم تغيره وانما صار اطيب
عند الله من ريح المسك لانه سبب طيب الروح الذي هو عند الله من الانسان
كما ان بدنه عند نفسه واليه اشير في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق واين
طيب الروح من طيب المسك فان الاول روحاني عقلي معنوي والثاني جسماني حسي صوري

اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص اما صوم العموم
فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر و
اللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام قال الصادق عليه السلام اذا صمت فليصم سمعك
وبصرك وشعرك وجلدك وعد اشياء غير هذا وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك

وقد ادفع خبز اخو ودع للزاد او لي الخادم وعليك وقار الصيام فان رسول الله صلى الله
عليه وآله سمع امرأة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها كلي فقالت اني
صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك ان الصوم ليس من الطعام
والشراب فقط وعن النبي ص انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل
وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وقال ص من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض
وضوءه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال ع كم من صائم ليس له من صومه
الا الجوع والعطش وقال الصادق ع ان الكذبة لتفطر الصائم قيل وانا لا يكون ذلك
منك قال ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة عليهم السلام
ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة وغيرهما مما لا يعده الفقهاء من المفطرات عدم
قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر
تحقيقه في باب الصلوة ولذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم واما
خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما
سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان
ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا قال ارباب القلوب من الحركة همته بالتصرف في
نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتب عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله
وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين وفي
مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فوقه ماشي وعاء ابغض

الى

الى الله من بطن ملئ من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة
اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى
استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لشهر رمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل
في كل عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم هو الخوى وكسر الهوى لتقوى
النفس على التقوى واذا رفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها
وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها
وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم
وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك
الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم واما اذا جمع ما كان
ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده وليلة القدر عبارة
عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره
مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى
يخلو همته عن غير الله تعالى وذلك هو الامر كله ومبدأ ذلك تقليل الطعام
في مصباح الشريعة قال الصادق ع قال رسول الله ص الصوم جنة اي ستر من آفات الدنيا
وحجاب من عذاب الآخرة فاذا صمت فانو بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع
الهمة عن خطوات الشيطان فانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاما
وشرابا متوقعا في كل لحظة شفاءك من مرض الذنوب وطهر باطنك من كل كدر وغفلة

وظلمة تنقطع من معنى الاخلاص لوجه الله تعالى قال رسول الله (ص) قال الله عز وجل
الصوم لي وانا اجزي به فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاء
القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان
الى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء الى الله وسبب انكسار
الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى كفى
بما ذكرناه منبها لمن عقل ووفق لاستعماله

في الحج وزيارة

المشاهد قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر
فان الله غني عن العالمين وقال النبي (ص) من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا وقال الصادق (ع) من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك
حاجة تجحف به او مرض لا يطيق فيه الحج او سلطان يمنعه فليمت يهوديا او نصرانيا
والاخبار في فضل الحج والعمرة اكثر من ان تحصى وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية
اعمالها واما بيان السر فيهما فاعلم انه لا وصول الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات
والكف من اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات
والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى
قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا اللذات الحاضرة
والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه
فقال رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وقال ذلك بان منهم قسيسين

ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا
التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمدا (ص) احياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين
في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وآله
ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون
فانعم الله على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة
الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته وتفخيما لامره وجعل عرفات
كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة
الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب
البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن
ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم
وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها
العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار
وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه معلوم
وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن
الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بافعال هي هيئة التواضع
وللنفوس انس بتعظيم الله واما ترددات السعي ورمي الجمار فلا حظ للنفس ولا انس
للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد

وفضل الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه
وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه
ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة
وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى
طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد
على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية
النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت
لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار
التعبدات وقد ظهر مما ذكر ان قاصد البيت قاصد الى الله وزائر له فبالحري ان يفوز
بلقاء الله في ميعاده المضروب له والشوق الى لقاء الله يشوق الى اسباب اللقاء فيجعل
عزمه خالصا لوجه الله بعيدا من شوائب الرياء وغير ينبغي للحاج عند توجهه
الى الحج وخروجه من بلده ان يرد المظالم ويتوب الى الله توبة خالصة ويقطع علاقة
قلبه عن الالتفات الى ما وراءه ليكون متوجها الى الله بوجه قلبه ويقدر انه لا يعود
وليكتب وصية لاهله واولاده ويتهيأ لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على
قرب وان يتأدب بآداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولا سيما توسيع
الزاد وتطييب الكلام ولينه وخفض الجناح ما استطاع فورد في الحج طيب الكلام

والطعام الطعام

واطعام الطعام وليس للحج المبرور جزاء الا الجنة وعدم الاهتمام بالانفاق
وبما اصيب في المال فدرهم منه يعدل سبعمائة في سبيل الله وان يكون
قلبه مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره محضرا عند كل حركة ويكون
متذكرا بذلك امر الاخرة وباينا سببه ويكون اشعث اغبر غير متزين ويمشي ان قدر
خصوصا بين المشاعر فورد ما عبد الله بشيء افضل من المشي والتقليل من النفقة
مع اليسار فان الركوب حينئذ افضل كما ورد سيما لمن ضعف بالمشي وساء
خلقه وقصر في العمل فيكون احب اليه فانه ادل الماشي على الاتقاء والعبادة
وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمشي ويساق معه المحامل والرحال واذا حضرت
الراحلة فليشكر الله بقلبه على تسخير له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف
عنه المشقة فاذا دخل البادية متوجها الى الميقات فيوم القيمة وما بينهما
من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر
ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي
والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته ويكن
في هذه المخاوف في اقواله واعماله متزودا لمخاوف القبر وليتذكر عند لبس
ثوب الاحرام لبس الكفن ولفه فيه وانه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن
لا محالة فانه كما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا
يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب

من ذلك الثواب اذ لبس ثوبه مخيطا كما لا يخلو الكفن واما الاحرام والتلبية بالميقات
فليعلم انه اجابة نداء الله فليرج ان يكون مقبولا ويخشى ان يقال له لا لبيك
ولا سعديك وليكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حوله وقوته متبريا وعلى
فضل الله وكرمه متكلا فان وقت هو بداية الامر وهو محل الخطر وقد ورد ان السجاد ع
لما احرم واستوت راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع
ان يلبي فقيل له الا تلبي فقال اخشى ان يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي
عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه . واذا دخل مكة فليتذكر
عندها انه قد انتهى الى حرم امن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله
وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن
رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي
وذمام المستجير اللائذ غير مضيع فاذا وقع بصره على البيت فينبغي ان يحضر عند عظمة البيت
في قلبه ويقدر كانه يشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وليرج ان يرزقه لقاء الله
كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه اياه هذه الرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافدين
اليه واما الطواف فانه صلوة فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة
ما سبق في باب الصلوة وليعلم انه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول
حول العرش الطائفين حوله ولا يظن ان المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود
قلبه بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا به ولا يختم الا به كما يبتدي الطائف

الطواف

الطواف من البيت ويختم بالبيت وليعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد
بالبصر وهو في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي
لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم
الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت
المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما
قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا
بان من تشبه بقوم فهو منهم واما استلام الحجر فليعلم انه بمنزلة اليمين قال رسول الله صلعم
استلموا الركن فانه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه مصافحة العبد او الدخيل
ويشهد لمن استلمه بالموافاة اراد بالركن الحجر الاسود لانه موضوع في الركن وانما شبهه
باليمين لانه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا
كاليمين حين التصافح والدخيل الملتجي قال الصادق ع ان الله تبارك وتعالى لما اخذ
مواثيق العباد امر الحجر فالتقمها فلذلك يقال امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي
بالموافاة وقال عليه السلام الركن اليماني باب من ابواب الجنة لم يغلقه الله منذ فتحه
قال الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه اعمال العباد
انما شبه بباب الجنة لان استلامه وسيلة الى دخولها واما النهر فلانه يغسل
به الذنوب وليكن نيته في الاستلام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا

بالمماسة ورجاء للتخلص من النار في كل جزء لاقى البيت وليكن نيته في التعلق باستار
البيت الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب
اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا
عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما
السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا
وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي
دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد
واما الوقوف بعرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف
اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر عرصات القيمة واجتماع
الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في
ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة
والابتهال الى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليحقق رجاءه بالاجابة فالموقف
شريف والرحمة انما تصل من حضرة ذي الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة
من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف من طبقة من الصالحين وارباب القلوب واذا
اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت
اليه اعناقهم وشخص نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيد
ان يخيب املهم ويضيع سعيهم ولذلك قيل من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله

لم يغفر

لم يغفر له واما الوقوف بالمشعر فليتذكر انه قد اقبل عليه مولاه بعد ان كان
مدبرا عنه طاردا له عن بابه فاذن له في دخول حرمه فان المشعر من جملة الحرم وعرفات
خارجة عنه فقد اشرف على باب الرحمة وهبت عليه نسمات الرافة وكسي خلع القبول
بالاذن في دخول حرم الملك واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية
وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث
عرض له ابليس في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله ان يرميه بالحجارة
طردا له وقطعا لامله وليعلم انه في الظاهر يرمي الحصا الى الجمار وفي الحقيقة يرمي به
وجه الشيطان ويقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد
الامر من غير حظ للعقل فيه واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فليكمل
الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق بكل جزء منه جزءا منه من النار كما ورد الوعد به
وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام اذا اردت الحج فجرد قلبك لله تعالى
من كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض امورك كلها الى خالقك وتوكل عليه في جميع
ما يظهر من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وودع الدنيا والراحة
والخلق واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ولا تعتمد على زادك وراحلتك
واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من
ادعى رضا الله واعتمد على سواه صيره عليه وبالا وعدوا ليعلم انه ليس له قوة
ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع

واحسن الصحبة وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع واحرم من كل شئ يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهرول هرولة من هواك وتبرا من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ولا تمن ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترف بالخطايا بعرفات وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب اليه وتقية بمزدلفة واصعد بروحك الى الملاء الاعلى بصعودك على الجبل واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلائته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودر حول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعا لعزته وودع ما سواه بطواف الوداع وصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكن بمراى من الله نقيا اوصافك عند المروة واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك واوجبته الى يوم القيمة واعلم بان الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه

من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا للاستعداد والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيمة وفصل بيان السابقة من الدخول في الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من اولها الى اخرها لاولي الالباب واولي النهى وأما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فليتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وجعل اليها هجرته وانها داره التي شرع فرائض ربه وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله ثم جعل تربته فيها ثم ليمثل في نفسه اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردده فيها وانه ما من موضع قدم الا وهي موضع قدمه العزيز فلا يضع قدمه عليه الا على سكينة ووجل وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحبط عمل من هتك حرمته شريعته ولو في دقيقة من الدقائق ولا يامن ان يحال بينه وبينه بعد ذلك عن محبته وليعظم مع ذلك رجاؤه ان لا يحول الله بينه وبينه بعد ان رزقه الايمان واشخصه من وطنه لاجل زيارة محبة له وشوقا الى ان ينظر الى آثاره وحائط قبره فاذا بلغ المسجد فليتذكر ان فرائض الله تعالى اول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم امله في الله ان يرحمه بدخوله اياه خاشعا معظما وما احرى ذلك المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن وأما زيارته صلى الله عليه وآله فينبغي ان

يتنفس بين يديه ويزوره ميتا كما يزوره حيا ولا يقرب من قبره الا كما يقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وليعلم انه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وانه يبلغه سلامه وصلوته فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعا بازائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه فقد ورد ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة قال الصادق ع اذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي ص فات المنبر وامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال انه شفاء العين وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك فان رسول الله ص قال ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة والترعة هي الباب الصغير وسئل عليه السلام هي روضة اليوم قال نعم لو كشف الغطاء لرايتم قال النبي ص من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر الي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا الي بالسلام فانه يبلغني وقال ص لعلي عليه السلام يا ابا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصات من عرصاتها وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن اليكم وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري وجيراني غدا في الجنة يا علي من عمر قبوركم

وتعاهدها

وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه فابشر يا علي وبشر اولياءك ومحبيك من النعيم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا نالتهم شفاعتي ولا يردون حوضي وقال الصادق ع لو ان احدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركا حقا من حقوق رسول الله صلى الله عليه واله لان حق الحسين فريضة من الله واجبة على كل مسلم والاخبار في فضل زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام وفضلها على الحجة والعمرة والغزو اكثر من ان يحصى ولعل السر في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة وبرا لهم ولرسول الله ص وامير المؤمنين وفاطمة وشيعتهم ومحبيهم بل سائر النبيين والوصيين صلوات الله عليهم اجمعين وادخال السرور عليهم واجابة لهم وتجديد العهد لولايتهم واحياء لامرهم وتنكيتا لاعدائهم وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن ارضاه وهي مع ذلك كله عبادة لله عز وجل ومسرة له عز ذكره من جهة ادخال السرور على رسوله وعلى ذريته واوصيائه ومن جهة الاتيان بعبادته المامور بها ومسرة لهم من هذه الجهة ايضا وقد ثبت ونقرر جلالة قدر المؤمن

عند الله ثواب صلته وبره وادخال السرور عليه من جهة كونها مؤمنا
فحسب فاظنك بمن عصمه الله من الخطا وطهره من الرجس وجعله اماما
للمؤمنين وقدوة للمتقين وله خلق السموات والارض وجعله صراطه وسبيله
وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وجعله المتصل بينه وبين عباده من
من رسل وانبياء وحجج واولياء هذا مع ان مقابرهم مشاهد ارواحهم العلية
المقدسة ومحال حضور اشباحهم البرزخية النورية فانهم هناك يشهدون
وهم احياء عند ربهم يرزقون وبما اتاهم من فضله فرحون واما الحج والعمرة والغزو
وغير ذلك فانها وان كان فيها وانفاق اموال ورجاء آمال واشخاص ابدان وهجران
اوطان وتحمل مشاق وتجديد ميثاق وشهود شعاير وحضور مشاعر الا
انها ليست بتلك المثابة في المثوبة لان هذه انما هي عبادة لله سبحانه واجابة لامره
عز ذكره ومسرة له ولاوليائه ما الاتيان بالعبادة فحسب وليست فيها جميع تلك
الامور التي نبهنا عليها هناك مع انها تتاتى من كل مدع للاسلام وان كان
ناصبيا بخلاف ذلك فانها لا تتاتى الا ممن كان يعرف قدرا من قدرهم وطرفا من
منزلتهم ولو ناقصا قال الرضا ع ان لكل امام عهدا في عنق اوليائه وشيعتهم
وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في
زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ائمتهم شفعاء يوم القيمة

في ساير الاعمال الصالحة وفيها خمسة ابواب

في التوبة

في التوبة وهي توبة القلب عن الذنب والرجوع من البعد الى القرب وبعبارة
اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من
التقصير وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها ان تكون لله سبحانه
لا لمال او جاه او خوف من سلطان او عدم اسباب وابتداؤها الندم اعني الم
القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة
حقيقة وانما المقدور تحصيل اسبابه من العلم والايمان وتحقيقهما في قلبه قال
النبي ص الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه
فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره والطريق اليها ذكر ما ورد في فضلها
والعلم بقبح الذنوب وشدة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة
وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة وخوفا لا املا بعدم الاخذ
الحالي والاستدراج بالاحسان وقلع اسباب الاصرار وهي الغرور وحب
الدنيا وطول الامل قال الله تعالى توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم
سياتكم الاية ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب وقال عز وجل
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله ص التائب حبيب الله وا
التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال الباقر ع الله اشد فرحا بتوبة عبده
من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها وقال الصادق عليه السلام

في قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا قال هو الذنب الذي لا يعود فيه ابدا وقيل وانيا
يعني قال يا فلان ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني الكثير الذنب كثير التوبة
وقال اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله فستر عليه قيل وكيف يستر عليه قال ينسي
ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان
اكتمي عليه ذنوبه حتى يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب

اعلم ان مهما اشرق نور الايمان على القلب اثمر نار الندم على الذنب فيتألم به القلب
حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد
كان في ظلمة فيسطع عليه النور بانقشاع سحاب وانحسار حجاب فراى محبوبه
قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران اراده
الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق
اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة
والتابع المتأخر كما اشرنا اليه فمن نظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى
الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان علم ان معنى الواجب ما هو
واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وعلم ان لا سعادة
في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين
ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع

الشهوات

الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا
وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم
والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله
وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين
اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله وكل علم يراد ليكون
باعثا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما
اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان و
المراد بقول النبي صلعم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد نفي الايمان
بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي
انما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت وليس الايمان
بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله و
ادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا
بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى
من البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث
حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها
واظفارها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد والرسالة هو كالانسان
مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا

الا اصل الروح وكان من هذا حاله قريب من ان يموت فزايلة الروح الضعيفة
المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها وكذلك من ليس له
اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع عنه شجرة ايمانه اذا
صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت
ووروده فكل ايمان لم يثبت في النفس اصله ولم يتشعب في الاعمال فروعه
لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بما الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ
وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما تقطعت نياط العارفين خوفا
من دواهي الموت ومقدماته الهايلة التي لا يثبت عليها الاقلون اعلم ان
وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة قال الله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا فعم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة
الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك
الا من عاقل ولا يكمل غريزة العقل الا بعد كمال الشهوة والغضب وساير
الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغوا الانسان اذ كمال
العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة
البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان
والعقول جنود الملايكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت

احدهما

احدهما للاخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار
والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات
تكمل في الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على
المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة
غلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله و
جنده ومنقذ اوليائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة
القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
وان قوي العقل وكمل كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة
العادات ورد الطبع على سبيل القهر والغلبة الى العبادات ولا معنى للتوبة
الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى
وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة
للشيطان سابقة على غريزته التي هي عدة الملايكة فكان الرجوع عما سبق اليه
على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان واما بيان وجوبها على
الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في
بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان
خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته

و باثاره بحسب طاقته وكل ذلك نقص وله اسباب وعلل اسبابه يحتاج على
اضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يخلص المخلوق
حتى الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه
الا ان الانبياء والاوصياء عليهم السلام ليس ذنوبهم كذنوبنا وانما هي ترك
دوام الذكر والاشتغال بالمناجاة وحرمانهم زيادة الاجر بسبب ذلك قال
الصادق ع ان رسول الله ص كان يتوب الى الله ويستغفره في كل يوم وليلة
مائة مرة من غير ذنب ان الله يخص اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب
يعني من غير ذنب كذنوبنا فان ذنب كل احد انما هو بحسب قدره ومنزلته
عند الله ثم اعلم انه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو
اثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال النبي ص اتبع السيئة
بالحسنة تمحها وينبغي ان يكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك
السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس الذكر ويكفر القعود
في المسجد جنبا بالعبادة فيه الى غير ذلك وليس ذلك شرطا وقد روي ان رجلا
قال لرسول الله ص اني عالجت امرأة فاصبت منها على كل شيء الا المسيس فاقض
علي بحكم الله تعالى فقال اما صليت معنا فقال بلى فقال ان الحسنات يذهبن
السيئات ولا بد ان يكون عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو
اثرها قبل ان يتراكم الدين على القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى انما التوبة

على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قريب
عهد به قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن قال الصادق عليه السلام ذلك اذا عاين امر الاخرة
وذلك لان التوبة مقبولة قبل ان يعاين كما ورد عن رسول الله ص ومن ترك المبادرة
بالتوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على
قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض
او الموت فلا يجد مهلة الاشتغال بالمحو لذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل
النار من التسويف اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي
مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم
مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله وعلموا ان القلب خلق سليما
في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه
من غبرة الذنوب وظلمتها وان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن
وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة
لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء
الحار الا ان يتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا وهذا مثل ان يغوص الوسخ
لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وان
قال باللسان تبت وهذا البيان كاف في قبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله

تعا وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب وقال النبي صم
ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وقال لو عملتم الخطايا
حتى يبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال الباقر عم لمحمد بن مسلم ذنوب
المؤمن اذا تاب منها مغفور له فليعمل المؤمن لما يستانف بعد التوبة والمغفرة
اما والله انها ليست الا لاهل الايمان قال قلت فان عاد بعد التوبة والاستغفار
في الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه
ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فانه فعل ذلك مرارا يذنب
ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه
بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط
المؤمنين عن رحمة الله وقال الصادق عم ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله
به الجنة قيل يدخله الله بالذنب الجنة قال نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا
لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة   اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين
العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد والاول اما مغفور واما مرجو المغفرة
قال امير المؤمنين عم الذنوب ثلثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو
لصاحبه ونخاف عليه قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا قال نعم اما الذنب المغفور
فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم واكرم من ان يعاقب عبده
مرتين اما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض ان الله اذا برز

الخليقة

الخليقة اقسم قسما على نفسه فقال وعزتي وجلالي لا يجوز في ظلم ظالم ولو كف
بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء الى الجماء فيقتص للعباد بعضهم
من بعض حتى لا يبقى لاحد على احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب واما الذنب
الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة فاصبح خائفا من ذنبه
راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العذاب ولعله
عليه السلام اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت ان التوبة الجامعة
للشرائط مقبولة واذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور وبقسمة ثانية تنقسم
الذنوب صغاير وكباير قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير الاثم ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم وقال النبي صم الصلوة الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن
ان اجتنب الكبائر وقد كثرت الاقوال في تعيين الكبائر واختلف الروايات
فيها فعن الصادق عم في قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم قال الكبائر التي اوجب الله عليه النار وعنه عليه السلام انه سئل
عن الكبائر فقال هن في كتاب علي عليه السلم سبع الكفر بالله وقتل النفس وعقوق
الوالدين واكل الربوا بعد البينة واكل مال اليتيم ظلما والفرار من الزحف والتعرب
بعد الهجرة قيل له فاكل درهم من مال اليتيم ظلما اكبر ام ترك الصلوة قال ترك الصلوة
قيل فما عددت ترك الصلوة في الكبائر قال اي شيء اول ما قلت لك قال الكفر

فان تارك الصلوة كافر يعني من غير علة وعن الكاظم عليه السلام انه سئل عن
الكبائر كم هي وما هي فكتب الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه
سيئاته اذا كان مؤمنا والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين
واكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والفرار من الزحف
وعن الجواد عليه السلام قال سمعت ابي موسى بن جعفر يقول دخل عمرو بن عبيد
على ابي عبد الله ع فلما سلم وجلس تلا هذه الاية الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش ثم امسك فقال له ابو عبد الله عليه السلام ما اسكتك قال احب ان
اعرف الكبائر من كتاب الله فقال نعم يا عمرو واكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله و
من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وبعده الياس من روح الله لان الله
يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومنها عقوق الوالدين لان الله
جعل العاق جبارا شقيا وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق لان الله يقول فجزاؤه
جهنم خالدا فيها الى اخر الاية وقذف المحصنة لان الله تعالى يقول لعنوا في الدنيا والاخرة
ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم لان الله يقول انما يأكلون في بطونهم نارا و
سيصلون سعيرا والفرار من الزحف لان الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
واكل الربا لان الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس والسحر لان الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة

من خلاق

من خلاق والزنا لان الله ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس الفاجرة لان الله يقول الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة والغلول
لان الله تعالى يقول فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وشهادة الزور لان الله يقول
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب الخمر لان الله نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان و
ترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله لان رسول الله ص قال من ترك الصلوة
متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله
يقول لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول
هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم ان قيل كيف يرد الشرع بما لم يسبق حده
قلنا ان كل ما يتعلق به حكم في الدنيا فلا بد ان يتطرق اليه الابهام والكبيرة على الخصوص
لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة فان موجبات الحدود معلومة باساميها
وانما حكم الكبيرة ان اجتنابها يكفر الصغائر وان الصلوة الخمس لا تكفرها وهذا
امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرؤن
على الصغائر اعتمادا على الصلوة الخمس واجتناب الكبائر ثم اجتناب الكبيرة
انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها
فكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن
الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه وهذا معنى

معنى تكفيره فان كان امتناعه لعجز او خوف او نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذا
من لا تشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير
التي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار   اعلم ان الصغيرة قد يكبر
باسباب منها الاصرار والمواظبة قال الصادق ع لا صغيرة مع الاصرار ولا
كبيرة مع الاستغفار ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر
فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر وقال الباقر عليه السلم
في قوله تعالى ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا
يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار ومنها ان يستصغر الذنب فان
العبد كل استعظمه من نفسه صغر عند الله وكل ما استصغره كبر عند الله
لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور
يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر عن الالف وذلك يوجب شدة
الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده
بالسيئات ولذلك لا تؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة قال الصادق ع قال رسول الله ص
اتقوا المحقرات من الذنوب فانها لا تغفر قيل وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب
فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك وقال عليه السلام ان الله يحب العبد ان يطلب
اليه في الجرم العظيم ويبغض العبد ان يستخف بالجرم اليسير وقال الكاظم
عليه السلام لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان الذنوب

تجتمع

تجتمع حتى تكون كثيرا وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف ومنها
السرور بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه
سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة
وعظم اثرها في تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها
وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون في مصيبة ويتأسف بسبب غلبة
العدو عليه وبسبب بعده من الله ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه
عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما
فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله به فيكون ذلك لامنه من مكر الله
وجهله بمكان الغرور بالله كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره
بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جناية منه على
ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك الرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده
فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى
ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية
رابعة وتفاحش الامر وهذا لان من صفات الله سبحانه ونعمه ان يظهر الجميل
ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال الرضا عليه السلم
قال النبي ص المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول

والمستتر بها مغفور له وقال الصادق عليه السلام من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره
فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة ستّرها الله عليه فنحّوه ومنها ان يكون المذنب
عالماً يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم
والذهب واخذه مال الشبهة واطلاقه اللسان في الاعراض ونحو ذلك
فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت ويبقى شره مستطيراً في العالم فطوبى
لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه فعلى العالم وظيفتان احدهما ترك الذنب
والآخر اخفاؤه كما يتضاعف اوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات
اذا اتبع   في الحديث النبوي ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها
الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا
ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر اذ لم يعلموا لماذا
خلقوا عملوا بما علموا فيقول الآخر يا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا
وقال امير المؤمنين لا تبدين عن واضحة وقد عملت الاعمال الفاضحة ولا تأمن
البيات وقد عملت السيئات وقال الباقر عليه السلام ان الله قضى قضاءً حتماً ان لا ينعم
على العبد بنعمة فيسلبها اياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة وقال
عليه السلام ما من شيء افسد للقلب من خطيئة ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال
به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله وقال عليه السلام ان العبد ليذنب
الذنب فيزوى عنه الرزق وقال الصادق عليه السلام اما انه ليس من عرق يضرب

ولا نكبة ولا صداع ولا مرض الا بذنب وذلك قول الله عز وجل
في كتابه ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال
وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل
وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم وقال عليه السلام يقول الله
تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي
وقال عليه السلام من همّ بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب
تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك ابداً وقال الكاظم حق على الله
ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى تطهرها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام وانه لينظر الى ازواجه في الجنة
يتنعمن وعن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لقائل بحضرته استغفر الله
ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو
اسم واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك
العود اليه ابداً والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس
ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها
والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى تلصق
الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة
كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله وقال عليه السلام

ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة اورثت حزنا طويلا والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا

في مصباح الشريعة قال الصادق التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال وكل فرقة من العباد لهم توبة فتوبة الانبياء من اضطراب السر وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله وتوبة العام من الذنوب ولكل واحد منهم معرفة وعلم في اصل توبته ومنتهى امره وذلك يطول شرحه هيهنا فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك الى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث الى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود الى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ويقضي الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين فان في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله عز وجل وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

في المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالى ونضع الموازين

القسط

القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال عز وجل ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي سيئاته وقال الصادق عليه السلم اذا اراد احدكم ان لا يسأل ربه شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئا الا اعطاه فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام الف سنة

ثم ملاقى يوما كان مقداره خمسين الف سنة فتفريع المحاسبة على الامر باليأس
من الناس والرجا من الله يدل على ان الانسان انما يرجو الناس من دون الله
في عامة امره وهو غافل عن ذلك وان عامة المحاسبات انما يرجع الى ذلك وذكر
الوقوف في مواقف القيمة بعد الامر بمحاسبة النفس التي يدل على ان الوقفات
هناك انما يكون للمحاسبات فمن حاسب نفسه في الدنيا يوما فيوما لم يحتج الى تلك
الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وورد في الخبر
ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وفي مصباح الشريعة
قال الصادق ع لو لم يكن للحساب مهولة الا حياء العرض على الله عز وجل وفضيحة
هتك الستر على المخفيات يحق للمرء ان لا يهبط من رؤس الجبال ولا يأوي الى عمران
ولا يشرب ولا ينام الا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيمة
باهوالها وشدايدها قايمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار
حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كانه الى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسئول قال الله
عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
معنى المحاسبة ان يطالب نفسه اولا بالفرايض التي هي بمنزلة راس ماله فان اداها
على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها
بالقضا فان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعتابها
وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه

وكما انه

وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان
حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي ان يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة
مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه
من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيمة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن
فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما ادى الحق منه كان ذلك
القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما
يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي
منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة
له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتميز الباقي من الحق
الواجب عليه اذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء قال الكاظم ع
ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وان عمل
سيئة استغفر الله منها وتاب اليه وقال الباقر ع لا يغرنك الناس من نفسك فان
الامر يصل اليك دونهم ولا تقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك
عملك فاحسن واني لم ار شيئا احسن دركا ولا اسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب قديم
وقال الصادق ع ان رجلا اتى النبي ص فقال له يا رسول الله اوصني فقال له رسول الله ص
فهل انت مستوص ان انا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلثا وفي كلها يقول له الرجل نعم يا رسول الله

فقال له رسول الله فاني اوصيك اذا انت هممت بامر فتدبر عاقبته فان يك رشدا
فامضه وان يك غيا فانته عنه وهذه الوصية من محاسبة النفس بل هي راسها
ينبغي للعبد ان يراقب نفسها عند الخوض في الاعمال ويلاحظها بالعين
الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة وسكون وذلك
بان يعلم بان الله مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قائم على كل
نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف
بل اشد من ذلك قال الله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال ان الله كان عليكم رقيبا وقال
النبي ص الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فانه يراك وحكى ان زليخا خلت بيوسف
فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة جماد
ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وفي الحديث القدسي انما يسكن جناتي عدن
الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انحنت اصلابهم من خشيتي و
عزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من
مخافتي صرفت عنهم العذاب فهذه المعرفة اذا صارت يقينا يعني انها اذا خلت
من الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب استجرت القلب وقهرته على
مراعات جانب الرقيب وصرفت الهمة اليه والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم
على درجتين احدهما مراقبة المقربين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير
القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات

الى الغير

الى الغير وهذا هو الذي صار همه هما واحدا وكفاه الله ساير الهموم والثانية مراقبة
الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم
ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة
للتلفت الى الاحوال والاعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون
ولا يحجمون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة فانهم
يرون الله مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة فان العبد لا يخلو اما ان يكون
في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب
وحراستها عن الافات ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال
بالتكفير ومراقبته في المباح بمراعاة الادب بان يجعل مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى
مستقبلا الى غير ذلك فكل ذلك داخل في المراقبة وبشهود المنعم في النعمة والشكر
عليها وبالصبر على البلاء فان لكل ذلك حدودا لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه

في التفكر والتدبر قال الله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها وقال النبي ص تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقال امير المؤمنين
التفكر يدعو الى البر والعمل به وقال عليه السلام نبه بالتفكر قلبك وجاف عن
الليل جنبك واتق الله ربك وقال الصادق ع افضل العبادة ادمان التفكر
في الله وفي قدرته ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذات الله سبحانه فانه ممنوع

منه لانه يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل بل المراد منه النظر الى افعاله
وعجايب صنعه وبدايع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه
وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته وقدرته واحاطته
بالاشياء ومعيته لها وهذا تفكر اولي الالباب قال الله عز وجل ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال عز وجل ومن اياته في مواضع كثيرة فتلك
الايات هي مجاري التفكر في الله وفي قدرته لاولي العلم لا ذاته سبحانه ففي الحديث
المشهور عن النبي ص انه قال تفكروا في الاء الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا
قدره وقال الباقر ع اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا
الى عظم خلقه وقال الصادق ع من نظر في الله واما التفكر الذي يدعو الى البر
والعمل فهو اعم من هذا فانه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات فان العبد اذا
تفكر في حسناته هل هي تامة او ناقصة موافقة للسنة او مخالفة لها خالصة
عن الشرك والشك او مشوبة بهما يدعوه لا محالة هذا التفكر الى اصلاحها وتدارك
ما فيها من الخلل وكذا اذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد
عن الله يدعوه ذلك الى الانتهاء عنها وتدارك ما اتى بها بالتوبة والندم واذا
تفكر في صفات الله وافعاله من لطفه بعباده واحسانه اليهم بسوابغ النعماء وبسطه

الالاء

الالاء والتكليف دون الطاقة والوعد بعمل قليل بثواب جزيل وتسخيره له
ما في السموات والارض وما بينهما الى غير ذلك يدعوه ذلك لا محالة الى البر والعمل
به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي وهذا تفكر المتوسطين واليه
الاشارة بقول الرضا ع ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم انما العبادة التفكر
في امر الله سبحانه وسئل الصادق ع عما يروي الناس ان تفكر ساعة خير من
قيام ليلة كيف يتفكر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوك اين بانوك ما لك لا
تتكلمين وهذا التفكر المفسر به الحديث النبوي دون الاولين في الفضل ولعل الحديث
النبوي اعم منه وانما فسره الصادق ع على رتبة المخاطب فان تفكر كل احد انما
يكون بحسب همته ورتبته وقد اوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين
من ارادها رجع اليها في مصباح الشريعة قال الصادق ع اعتبروا بما مضى
من الدنيا هل بقي على احد وهل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي
والعدو وكذلك ما لم يات منها بما مضى اشبه من الماء بالماء قال رسول الله ص
كفى بالموت واعظا وبالعقل دليلا وبالتقوى زادا وبالعبادة شغلا وبالله مونسا
وبالقران بيانا قال ص لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وما نجا من نجا الا بصدق الالتجاء
وقال نوح ع وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر
هذا حال صفي الله فكيف حال من اطمأن فيها وركن اليها واضاع عمره في عمارتها ومزق
دينه في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة

للخلق واصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة
لا يعبد الله بمثلها قال رسول الله ص فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة
التفكر الا من خصه الله بنور التوحيد والمعرفة . قال الصادق ع ابن آدم
لو اكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه تريد ان تعرف
بهما ملكوت السموات والارض ان كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت
ان تملا عينيك منها فهو كما تقول اراد عليه السلام بالقلب اللحم الصنوبري المعروف
ولهذا جعله متروكا ماكولا للطائر انه لا يصح ان تعرف به ملكوت السموات والارض
كما لا يصح ان يعرف بالبصر لانهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت فالخطاب
خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من افراد بني آدم المشار اليهم بقوله
سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها اما من جاوزها منهم وبلغ الى درجة العقل
والمعقول وهم اصحاب القلوب الملكوتية المشار اليهم بقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب فلهم ان يعرفوا بقلوبهم ملكوت السموات والارض لان قلوبهم من
الملكوت ولهذا حث الله تعالى على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه قال سبحانه
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون وقال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين الى غير ذلك من الآيات بلى ان ذات الله تعالى
لا يجوز ان يكتنه بالقلب كما لا يجوز ان يدرك بالبصر انما يجوز ان يطلع بالقلب على

شئ من عظمته

في ذكر الموت وقصر الامل عن النار قال
الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور وقال النبي ص اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما
هو يا رسول الله قال الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه
الدنيا ولا في شدة الا اتسعت عليه وقال الموت كفارة لكل مسلم وقال تحفة
المؤمن الموت وقال صلى الله عليه وآله وسلم الموت الموت الا ولا بد من الموت جاء
الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لاهل دار
الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وقال اذا استحقت ولاية الله
والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر واذا استحقت
ولاية الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب الاجل وراء الظهر
وسئل اي المؤمنين اكيس فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم له استعدادا
وقال امير المؤمنين ع ما انزل الموت حق منزلته من عد غدا من اجله وقال ما اطال
عبد الامل الا اساء العمل وكان يقول لو راى العبد اجله وسرعته اليه لا نقض
العمل من طلب الدنيا وقيل للباقر عليه السلام حدثني ما انتفع به قال اكثر ذكر
الموت فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا وقال الصادق ع اذا انت حملت
جنازة فكن فكانك انت المحمول وكانك سألت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل

فانظر ماذا استانف ثم قال عجبا لقوم حبس اولهم عن اخرهم ثم نودي فيهم
بالرحيل وهو ملعبون وقال ما خلق الله يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا
يقين فيه من الموت وفي مصباح الشريعة قال الصادق ع ذكر الموت يميت الشهوات
في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر
اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما قال النبي ص فكر ساعة
خير من عبادة سنة وذلك عند ما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الاخرة
ولا تشك نزول الرحمة على ذكر الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته
وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيمة فلا خير فيه قال النبي ص اكثروا
ذكر هادم اللذات ثم ذكر تمام الحديث كما مر وقال ع الموت اول منزل من منازل
الاخرة واول منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول باولها وطوبى لمن
لمن احسن متابعته في اخرها والموت اقرب الاشياء من بني ادم وهو يعده ابعد فما
اجرء الانسان على نفسه وما اضعفه من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك
المجرمين لذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره قال النبي ص من احب لقاء الله تعالى احب
لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه اعلم ان الناس اما منهمك في الدنيا
مكب على غرورها محب لشهواتها واما تائب مبتدئ او عارف منته اما
المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فذكره ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته
ويفر منه اولئك الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه

ملاقيكم

فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا
يزيده كثرة ذكر الموت من الله بعدا لان يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا
وينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذاته واما التائب فانه يكثر ذكر الموت
لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة
من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت
ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه لان هذا ليس يكره
الموت ولقاء الله وانما يخاف لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن
لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة
هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا
واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقاء حبيبه والمحب لا ينسى قط
موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجي الموت ويحب مجيئه ليتخلص
من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين واعلى رتبة منهما من يفوض
امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها
الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الى درجة التسليم والرضا اعلم
ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن
يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه
فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي بين يديه

كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يشتغل الا به فاذا باشر
ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا
وينكسر قلبه واوقع طريق فيه ان يكثر ذكر اقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم
ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم وكيف شدد التراب
اجزاءهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم
وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم فمهما يذكر
رجلا رجلا ويفصل في قلبه حاله وكيفية حياته ويتوهم صورته ويتذكر نشاطه
وتردده وامله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب
وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه
من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه
ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد
اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين
في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت
في وقت لا يحتسبه فانكشف له صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء اما
بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم والسعيد من
وعظ بغيره فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى
هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه

فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب
وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من
الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته   واما قصر الامل
فقد قال النبي ص اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من دنياك لآخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري
ما اسمك غدا وقال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل
فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يحب الدنيا ثم قال ان الله
يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب الله عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين
ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا
قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب
الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وروي انه صلى الله عليه وآله
قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله تعالى
قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون و
تبنون ما لا تسكنون وروي ان اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت
وليدة بمائة دينار الى شهر فقال النبي ص الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر
ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت اني لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى

فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع
الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من
القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيا الاولين والآخرين علاجه ولا علاج
له الا الايمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل
اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو من القلب
حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى
الدنيا كلها فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح
بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا
الدنيا كما اراها الصالحين من عباده   في الاخاء والالفة
قال الله في معرض الامتنان لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم وقال عز وجل فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني بالالفة ثم ذم التفرقة
وزجر عنها فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا وقال النبي ص اقربكم مني مجلسا يوم القيامة احسنكم اخلاقا الموطئون
اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف
ولا يؤلف وقال في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا
صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال من آخى اخا في الله رفع الله درجة
في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون

من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وحقت محبتي للذين
يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وقال لا تباغضوا
ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه
فوق ثلث وقال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان
انيخ على صخرة استناخ وقال امير المؤمنين ع اعجز الناس من عجز عن اكتساب
الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به وقال النبي ص اوثق عرى الايمان الحب
في الله والبغض في الله والتولي لاولياء الله والتبري من اعداء الله وقال ع
اذا جمع الله الاولين والآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول اين
المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس فيقال لهم اذهبوا الى الجنة بغير حساب
قال فتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة قال فيقولون فاي
حزب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله قال فيقولون واي شيء كانت
اعمالكم قالوا كنا نحب في الله ونبغض في الله قالوا فيقولون نعم اجر العاملين وقال
الباقر ع اذا اردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل
طاعة الله ويبغض اهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان يبغض اهل
طاعة الله ويحب اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من
احب وقال الصادق ع ما التقى المؤمنان قط الا كان افضلهما اشدهما حبا
لاخيه وقال كل من لم يحب في الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له

والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين   اعلم ان طول الامل له
سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
ولذاتها وعلايقها ثقلت على قلبه مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه
والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا ما يوافق مراده وانما يوافق
مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج
اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا
على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في
بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال
الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا واذا
صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من
هذا السفر او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ عن
قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل
الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عدة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما
بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا
يحتسبها فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون
واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان

يكون للخائض

ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها
الا من اطرحها فما قضى احد منها لبانته وما انتهى ارب الا الى ارب واصل
هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله عليه السلام
احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على
شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وكيف لا يتفكر المسكين في ان
مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت في
الشباب اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد
الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان
بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا
ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب
وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم اشتغاله بالاستعداد
له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل
والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه
ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان
هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهد موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه
بالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعد
فهو الاول وهو الآخر واذا عرفت ان سبب طول الامل الجهل وحب الدنيا

اعلم ان الحب في الله والبغض في الله غامض وانما ينكشف الغطاء عنه بان تعلم
ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع
في مدرسة او سوق او سفر او على باب السلطان او غير ذلك والى ما ينشأ اختيارا
ويقصد وهو الذي يبعث على الاخوة في الدين اذ لا ثواب الا على الافعال
الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة
وهذه الامور لا يقصد بها الانسان غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب و
يباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى
محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك
المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة
واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اما القسم الاول وهو حبك الانسان
لذاته وذلك ممكن وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا عندك على معنى انك تتلذذ
برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ في حق
من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان
يتبع المناسبة والملائمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن
اما ان يكون الصورة الظاهرة اعني الخلقة واما ان يكون الصورة الباطنة اعني
كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال
العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن

مستلذ به

مستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم
المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن
لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشيء ينجذب اليه
بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر
الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صم بقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف ويدخل في هذا القسم الحب للجمال
اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوات فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها
وان قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والازهار
والتفاح المشوب بالحمرة والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب
لا يدخل فيه الحب لله بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن
لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم صار مذموما والا فهو مباح
لا يوصف بحمد ولا ذم القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غيره فانه فيكون
وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب ولذلك يحب الناس
الذهب والفضة من حيث انهما وسيلة الى المقاصد ويحب خواصه لتحسينهم
حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصود الفائدة
دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله ثم ينقسم ذلك الى مذموم ومباح

القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير راجع الى حظوظه في الدنيا
بل يرجع الى حظوظه في الآخرة وهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه
وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم
والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لانه
يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به الى درجة التعظيم
في ملكوت السماء قال عيسى ع من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه
آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه فهو محب لله بل نقول من يجمع الضيفان
ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ
فهو من جملة المحبين في الله وكذا الواجب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين
فقد احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من يخدمه بنفسه في
غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده
من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله القسم الرابع
ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته
وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان من آثار
غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه
ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه

واحب من يخدمه

واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا
محبوبه قال المجنون: امر على الديار ديار ليلى — اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي — ولكن حب من سكن الديارا فاذن المشاهدة والتجربة
تدلان على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يتعلق به ولو من بعد وذلك
خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب
المحبة ثم اعلم ان من يحب في الله لابد وان يبغض في الله فانك اذا احببت
انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه لابد وان تبغضه لانه
عاص فيه وممقوت عند الله ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في
المقاربة والمباعدة وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة
وروي ان الله اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت
الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت في عدوا
او واليت في وليا وقال عيسى ع تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا
الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا يا روح الله من نجالس
قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم
في الآخرة عمله . قال الباقر ع قام رجل بالبصرة الى امير المؤمنين عليه السلام
فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان فقال الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان
المكاشرة فاما اخوان الثقة فهم الكهف والجناح والاهل والمال فاذا كنت من

من اخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد
من عاداه واكتم سره وعيبه واظهر منه الحسن واعلم ايها السائل انهم اقل من
الكبريت الاحمر واما اخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعن ذلك
منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه
وحلاوة اللسان والكثرة التبسم كاشره كشف له من انيابه وقال الصادق ع
قال امير المؤمنين ع لا عليك ان تصحب ذا العقل وان لم تحمد كرمه ولكن انتفع بعقله
واحترس من سيئ اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم انتفع بعقله واحترس من سيئ
اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك
وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق وقال الصادق ع عليك بالتلاد واياك وكل
محدث لا عهد له ولا امان ولا ذمة ولا ميثاق وكن على حذر من اوثق الناس في
نفسك فان الناس اعداء النعم قال الصادق ع لا تكون الصداقة الا بحدودها
فمن كانت فيه هذه الحدود او شيء منها فانسبه الى الصداقة ومن لم يكن فيه
شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة فاولها ان تكون سريرته وعلانيته
لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه والثالثة ان لا تغيره
عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك شيئا تناله مقدرته والخامسة
وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات وفي مصباح الشريعة قال
الصادق ع ثلثة اشياء في كل زمان الاخاء في الله والزوجة الصالحة

الاليفة

الاليفة في دين الله والولد الرشيد ومن اصاب احد الثلثة فقد اصاب خير الدارين
والحظ الاوفر في الدنيا واحذر ان تؤاخي من ارادك لطمع او خوف او فشل
او اكل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في ظلمات الارض ولو افنيت عمرك
في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض افضل منهم بعد النبيين
ما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا
لا عيب فيه بقي بلا صديق الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبياءه عند
اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقاءه
واولياءه وامناءه صحبة انبيائه وهو دليل على ان ما في الدارين نعمة اجل
واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة لوجهه . اعلم
ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه المقالات والابواب من الاصول
الدينية والمعارف اليقينية وما اشرنا اليه من رموز العقائد وما بسطنا
الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن الاسرار الاعمال الحسنة
والسيئة قلما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب وهذا التوضيح و
الترتيب مع ابتنائه واخذ جلها على الاصول الاصلية التي لا اعتماد الا عليها
ولا وثوق الا بها من الكتاب والسنة واحاديث اهل بيت النبوة دون
اراء الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس
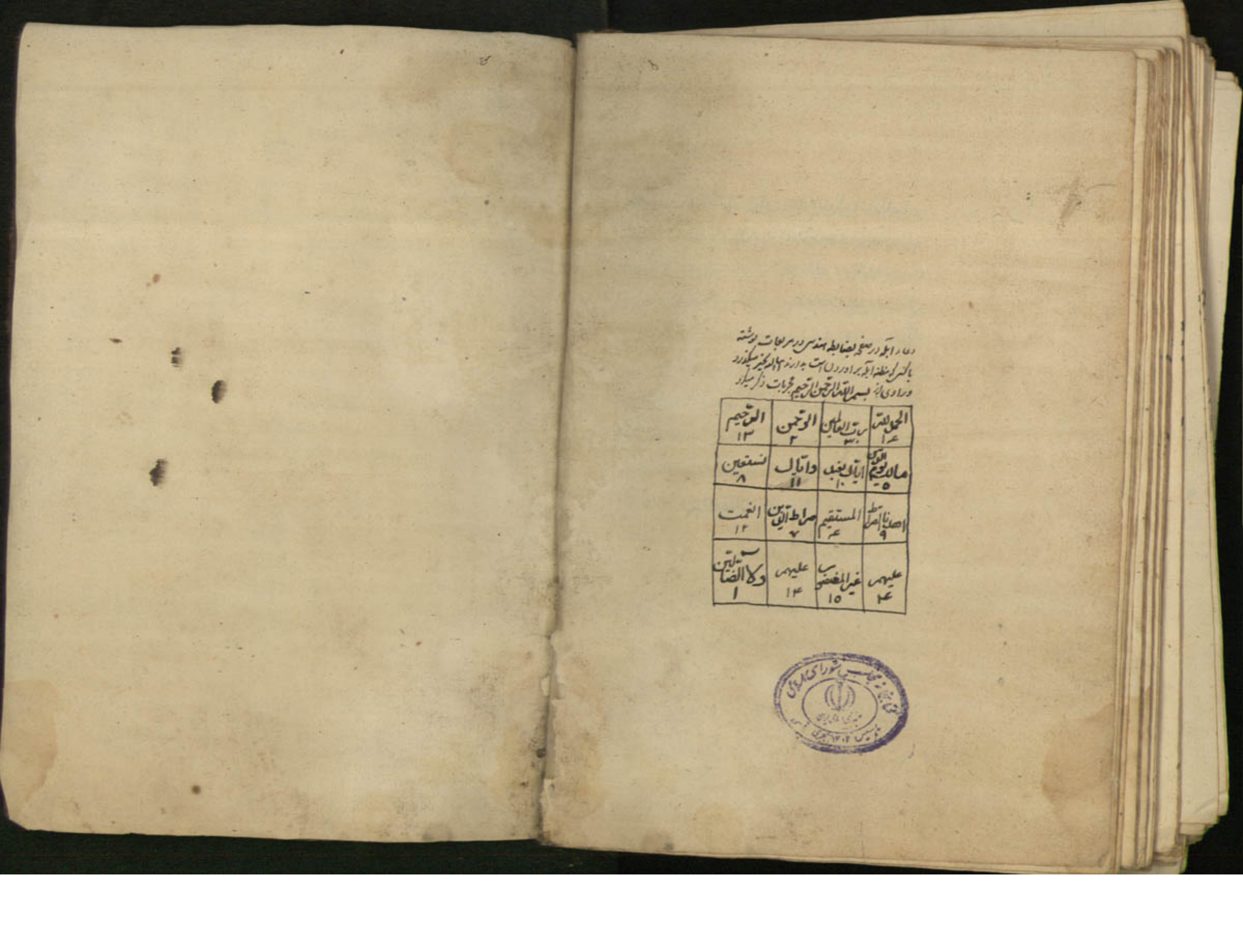
من الجنة والناس ولقد وفقني الله تعالى لجمعه وتاليفها في مدة اشهر قلايل
من سنة تسعين والف الهجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان قد مضى
من عمري ثلث وثمانون وشيء قليل وكان قد اكتنفتني اسباب اختلال الحال
وتشتت البال من امراض وعلل جسمانية غير موجودة الزوال واتمام وفقوة
لذلك بسبب ما انعم الله علي من العقايد الحقة وبما تفضل الله به علي من موالاة
اوليائه ومعاداة اعدائه بعد ان عرفني الله اوليائه واعدائه بوحي منه سبحانه
الى رسوله وتبليغ رسوله الى عباده وتسليمي له بمعونته وارشاده واما فايدة
هذا الجمع والتاليف وجدواه فهي ان يطلع عليه من كان اهله ورزق التوفيق
من الله وغيبت همته وبلغ سعيه منتهاه فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه ومن
كان دونه يعمل به بقدر مقدوره على حسب ميسوره وهكذا الى ما ينتفع به بني
ليبرويون سنبله من بعد كبير واما امثالنا من الذين يقولون ما لا يفعلون
ويبنون انفسهم اذا كانوا بالبر يامرون فغايته في حقهم زيادة بصيرتهم في
تقصيرهم وقصورهم حتى بصيرة للسبب المقتهم انفسهم وذلهم وانكسارهم
واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفضايح غيوبهم وانتجارهم فان الايمان
يقتضي ان لا يرضى العبد المومن لنفسه ما لا يرضى الله به مولاه فاذا لم يرض به
يكون لا محالة دائم الحزن والندم كثير الغم والالم فاذا كان كذلك يرجى له ان
يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم وقد ورد ان العبد ليذنب

الذنب فلا يزال

الذنب فلا يزال منه خايفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخل الجنة وما خرج
عبد من ذنب الا باقرار والاعتراف بالذنب كفارة له ومن اذنب ذنبا فعلم ان الله
مطلع عليه ان شاء عذبه وان شاء غفر له وان لم يستغفر ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم
او طغى به القلم ومن اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ومما ادعيناه واظهرناه
من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ومن كل وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا
في الوفاء ومن كل نعمة انعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ومن كل
تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ومن كل خطرة
دعتنا الى التصنع والتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم
افدناه او استفدناه ثم نرجع اليه بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا
ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يتفضل علينا بالمغفرة والرحمة
والتجاوز عن جميع السيئات فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف
الخلايق فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين
رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيمة الهي كيف درست الامال وتغيرت الاحوال
وكذبت الالسن واخلفت الاعتذار فالى معدن مغفرة وفضلا اللهم صل

على محمد وال محمد واعطني من فضلك واعذني من الشيطان الرجيم بجلالك
وبجلالك ما اعظمك واحلمك واكرمك وسع حلمك تمرد المستكبرين واستغرقت
نعمتك شكر الشاكرين وعظم حلمك من احصاء المحصين وجل طولك عن وصف
الواصفين كيف لولا افضال حلمك عن خلقته من نطفة ولم يك شيئا فربيته
بطيب رزقك وانشاته في فوز نعمك ومكنت له في مهاد وارضك ودعوته
الى طاعتك فاستنجد عصيانك ناجسانك وعبد غيرك في سلطانك كيف لولا
حلمك امهلتني وقد شملتني بسترك واكرمتني بمعرفتك واطلقت لساني
بشكرك وهديتني السبيل الى طاعتك وسهلتني المسلك الى كراماتك واحضرتني
سبيل قربتك فكان جزاؤك مني ان كان قابلتك عن الاحسان بالاساءة
حريصا على ما اسخطك منتقلا فيما استحق به المزيد من نقمتك سريعا الى ما ابعدني
رضاك مغتبطا بغرة الامل معرضا عن زواجر الاجل لم يغنني حلمك علي وقد اتاني
توعدك باخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم الخطيئة استنابتك في نعلك عني
مناهب لما قد اشرفت عليه من نقمتك مستبطا المزيدك ومتسخطا لميسور فضلك
متشبها جرايرك بعمل الفجار كالمراصد رحمتك بعمل الابرار مجتهدا امتنى عليك
العظام كالمدلا الامن قصاص الجرايم فانا لله وانا اليه راجعون مصيبة عظم
رزؤها وجل عقابها بل كيف لولا املي ووعدك الصفح عن زللي ارجو اقالتك
وقد جاهرتك بالكبائر مستخفيا عن اصاغر خلقك فلا انا راقبتك وانت معي

ولا انا راعيت حرمة سترك على اي وجه القاك واي لسان اناجيك
وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها وجعلتك على كفيلا ثم دعوتك
مقتحما في الخطيئة فاجبتني ودعوتني اليك فقرعتك لم اجب سواتاه وقبح صنعاه
اي جراءة تجرات واي تغرير غررت نفسي سبحانك فبك اتقرب اليك وبحلك اقسم عليك
وقد اهرب اليك بنفسي استشفعت عند معصيتي لا بنفسك وبحلمك اقتربت لا بحلمك
اضعف لا عظيم حقك ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت وبك امنت واليك انبت وتعرضت
فارحم اليك تضرعي وفاقتي وكبوتي لحر وجهي وحيرتي في سوء ذنوبي انك ارحم الراحمين
ولنختم الكلام حامدين لله ومصلين على نبيه واهل بيته عليه وعليهم الصلوة
والسلام والحمد لله اولا واخرا تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب
حسب الامر عالي جناب قدسي القاب علاء الاعاظم
ونخبة الافاخم ميرزا محمد مهدي دام ظله العالي قدس سره
اقل السادات سيد محمد طباطبائي اصفهاني
كرديد تحرير او في تاريخ بيست ويكم
شهر صفر المظفر من شهور
سنه اربع واثنا مائة
بعد الالف الهجرية
الطاهره ١٢٠٤
المصطفويه


دعاء ابجد در صفحه بضابطه هندسی در مربعات نوشته
بالکسر لفظه ابجد برادر ... است چهارده ... سیکند رد
و راوی از بسم الله الرحمن الرحیم مجربات ذکر میکند

الحمد لله ۱۶	رب العالمین ۳	الرحمن ۲	الرحیم ۱۳
مالک یوم الدین ۵	ایاک نعبد ۱۰	و ایاک ۱۱	نستعین ۸
اهدنا الصراط ۹	المستقیم ۶	صراط الذین ۷	انعمت ۱۲
علیهم ۴	غیر المغضوب ۱۵	علیهم ۱۴	و لا الضالین ۱



